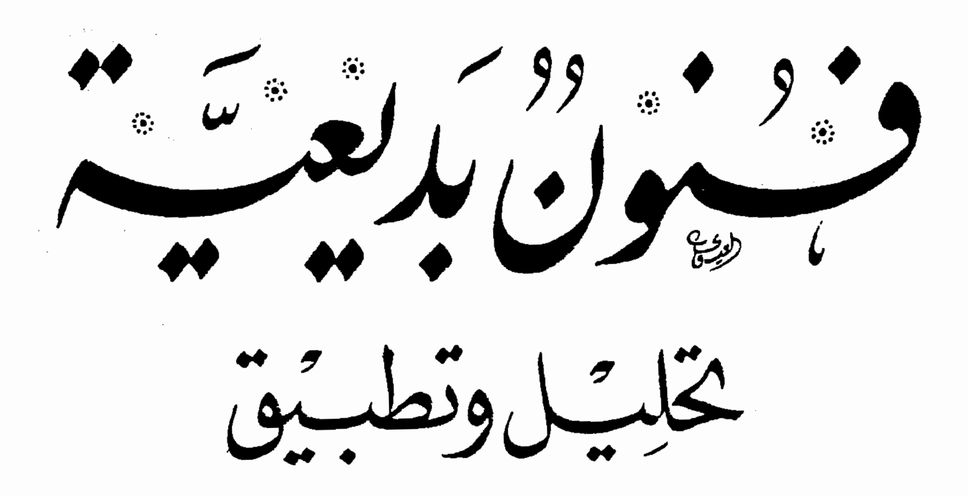
دكتور

أحمد هنداوى هلال

أستاذ البلاغة والنقد
جامعة الأزهر



مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة تليفون: ٢٣٩١٧٤٧٠
فاكس: ٢٣٩٠٣٧٤٦

اسم الكتاب:

فنون بديعية

تحليل وتطبيق

اسم المؤلف: الدكتور أحمد هنداوي هلال.

الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة.

٢٤٠ صفحة ١٧ × ٢٤سم

رقم الإيداع: ٩٧/١٠٢٢٨

الترقيم الدولى I.S.B.N

977-19-4177-1

إهـــداء

إلـى كـل بـاحـث أمـين
ينسب كل كـلام إلـى
قـائلـه.. أهدى هذا العـمل

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فيسرني إعادة طبع كتاب (فنون بديعية) بعد نفاد طبعته الأولى، وقد فاتني - في مقدمة الطبعة الأولى أن أضع أمام القارئ الكريم في عجالة - العناصر الرئيسة التي عرضت من خلالها هذه الفنون، والبناء الذي بنيت عليه.

فقد وجدت أن من الضروري البدء بتمهيد يلقي الضوء على عدة نقاط:

الأولى: بيان معنى كلمة (بديع) من خلال بعض المعاجم مثل (لسان العرب لابن منظور) (وأساس البلاغة) للزمخشري، وغيرهما.

والثانية: بيان أن البديع موجود في اللغة العربية باعتباره فنا قوليا عرفته العرب، وظهر في أدبهم، منذ نشأته، حتى استوى على سوقه.

والثالثة: تطور البديع باعتباره علما اصطلاحيا، لدى علماء البلاغة، حتى صار فنا مستقلا، له أصوله، وفروعه.

وقد بدا لي بعد ذلك التمهيد أن أقسم تلك الفنون إلى خمسة فصول:

الفصل الأول: تناولت فيه المحسنات المعنوية على حسب ترتيبها في (إيضاح) الخطيب القزويني - رحمه الله.

والفصل الثاني: عرضت فيه من المحسنات اللفظية الجناس - ورد العجز على الصدر - والسجع - والموازنة - والقلب، ولزوم ما لا يلزم.

وفى الفصل الثالث: تناولت السرقات الشعرية النسخ والانتحال - الإغارة أو المسخ - الإلمام أو السلخ - أضرب السرقة غير الظاهرة.

وفى الفصل الرابع: ألمت بما يتصل بالسرقات الشعرية - من الاقتباس - التضمين - العقد - الحل - التلميح.

وفى الفصل الخامس: ذكرت مواضع التألق فى الكلام وهى حسن الابتداء - براعة الاستهلال - حسن التخلص - الاقتضاب - حسن الانتهاء.

ولا يفوتنى أن أشير إلى أننى اتخذت من عناوين (الخطيب) وبعض شواهده منطلقا إلى إيراد شواهد جمة، ونماذج جديدة لكوكبة من الشعراء القدامى أمثال ابن الرومى، والمعرى، والمحدثين مثل حافظ إبراهيم، وشوقى، والمنفلوطى، والعقاد، وهاشم الرفاعى، وغيرهم، وأنماطا من نثر الزمخشرى، والحريرى، وعبدالله النديم، وأوردت شواهد من (البيان والتبيين) للجاحظ، (وزهر الآداب) للحصرى القيروانى، (ومعاهد التنصيص) للعباسى.

وأبنت معانى الكلمات الغامضة فى الهامش، وفى صلب الصفحات.

وعرجت على آراء خاصة لبعض البلاغيين، كرأى (ابن سنان الخفاجى) فى جواز تسمية ما فى القرآن من فواصل (سجعا) وقال (لا مانع فى الشرع يمنع من ذلك...) وقد تحرج بعضهم من ذلك.

وقد ذيلت هذه الطبعة بفهارس للآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية، والأبيات الشعرية، وكانت الطبعة الأولى خالية منها؛ ليسهل على القارئ الرجوع إليها إن أراد، ولا مانع من استكمال النقص، وتلافى الخلل وقد قيل: (لا يكتب إنسان كتابا فى يومه إلا قال فى غده لو غير هذا، لكان أحسن، ولو زيد كذا، لكان يستحسن، ولو ترك هذا، لكان أفضل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر) ولم يبق إلا

أن أشـير إلى أننى أضفت إلى العنوان فى هذه الطبـعة كلمتى (تحليل وتطبيق) ليصير العنوان:

(فنون بديعية -تحليل - وتطبيق) ليتخصص العام - ويتحدد المسار.

والله أسـأل أن يكون عـرض هذه الفنون، وتحـليلهـا وبيـان مـعناها، وتحـرير مصطلحاتها إسهاما ولو ضئيلا فى بناء بلاغة ميسرة واضحة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آلة وصحبه وسلم.

طنطا فى:

٢١ من ذى القعدة ١٤٢٨هـ

أول ديسمبر ٢٠٠٧م

دكتور

أحمد هنداوى هلال

أستاذ البلاغة والنقد كلية اللغة العربية

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فهذه فنون من البديع كما سطرها (الخطيب القزوينى) ورتبها فى (الإيضاح) وهى معلومة مشتهرة لدى كل من له صلة بالبلاغة العربية، قرأتها فى تأنٍ وتؤدة، وإنعام نظر، فألفيتها وافية كافية فى المراد بها، مدعومة بالأمثلة والشواهد المنوعة، إلا أننى وجدت فيها - كما تراءى لى - نبذا يحتاج فيه مثلى أولا إلى مزيد من البسط، وشىء من الإيضاح، حتى يمكن الإحاطة بمعانيه، والإلمام بمدلولاته.

وحتى لا يكون هذا إرسالا للكلام على عواهنه، فإننى أذكر على سبيل المثال، لا الحصر قوله وهو بصدد الكلام عن (المزاوجة) «.. وهى أن يزاوج بين معنيين فى الشرط والجزاء كقول البحترى:

إذا مـا نَهَى النَّاهـى فَلَجّ بى الهـوى ... أصاخَتْ إلى الواشى فَلَجَّ بهـا الهَجْرُ

وقوله أيضًا:

إذا احْتَـرَبَتْ يوما فـفاضت دِمـاؤُها ... تذكرت القُـرْبى ففاضت دُمُوعُـها[1]

أما كيفية هذه المزاوجة، وتحليل أطرافها، فلم يتطرق إلى شىء منه، وذلك - فيما يبدو - اتكال على فهم القارئ، وفطنته، أسوة بما كان يفعله قدامى المؤلفين، ولعله فى هذا الموضع قد نحا نحو (الشيخ عبد القاهر الجرجانى) وحذا حذوه، عندما قال فى بيان (المزاوجة) إنها «أن تزاوج بين معنيين فى الشرط والجزاء كقول البحترى:

---

(١) الإيضاح ص٢٠٠ مكتبة محمد على صبيح ١٩٨٢م.

إذا ما نهى الناهى...... (البيت)

وقوله أيضا:

إذا احتربت يوما...... (البيت)[١]

وهذا البيان على صورته الراهنة يجعل المتبادر إلى ذهن القارئ فى بادئ الرأى أن الشاعر قد زاوج - أى قرن - بين نهى الناهى، ولجاج الهوى فى الشرط، والإصاخة إلى الواشى، ولجاج الهجر فى الجزاء، وكذلك يجعل المتبادر فى البيت الثانى أن المزاوجة بين الاحتراب، وفيضان الدماء فى الشرط وتذكر القربى، وفيضان الدموع فى الجزاء، وهذا غير مراد.

وقد بين العلامة سعد الدين التفتازانى أن هذا الفهم الذى قد يتبادر إلى الذهن فاسد، ولا قائل به، وأوضح هيئة تلك (المزاوجة) وكيفيتها، وأطرافها[٢] وسيجىء ذلك - إن شاء الله تعالى - فى موضعه من هذا العمل.

وقد تناولت - بعون من الله - هذه الفنون على بكرة أبيها - كما جاءت فى الإيضاح، وعرضتها فى صورة، لعلها تكون قد فصلت ما فى بعض المواضع من إجمال، وأماطت اللثام عن المقصود منها.

وقد أضفت إلى ماخطه يراع (الخطيب) فى كثير من المواضع شواهد جمة من أفصح كلام وهو القرآن الكريم، ومن البيان النبوى الشريف الذى أيده الله بالعصمة، ورزقه القبول؛ فسار ذكره مسير الشمس والقمر، وكذلك زدت بعض نماذج من أشعار العرب، ونثرهم فى القديم والحديث، ولم يحصر هذا العمل نفسه فى رأى (الخطيب) بل اشتمل فى بعض مواضعه على وجهات، ورؤى لعلماء آخرين.

وفى نهاية هذه المقدمة أجدنى فى حاجة إلى أن أردد بعض كلمات قال مثلها أحد كبار اللغويين[٣].

---

(١) دلائل الإعجاز ص ٦٤ تحقيق محمد رشيد رضا مكتبة القاهرة ١٩٦١م.

(٢) ينظر المطول ص ٤٢٤.

(٣) ابن منظور فى مقدمة لسان العرب.

وهى أنه ليس لى فى هذا العمل فضيلة أمت بها، ولا وسيلة أتمسك بسببها سوى أنى جمعت فيه ما تفرق من كلام العلماء، فلهم الفضل، وعليهم المعول.

والله أسأل أن يمنحنى التوفيق والسداد

«وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب»

طنطا فى:

٢٦ من ربيع الأول ١٤١٧هـ

٣١ يوليو ١٩٩٧م

دكتور
أحمد هنداوى هلال
أستاذ البلاغة والنقد كلية اللغة العربية
جامعة الأزهر

التمهيـــد

- معنى كلمة بديع.
- البديع باعتباره فنا قوليا.
- البديع باعتباره علما اصطلاحيا.

- **معنى كلمة بديع:**

أود فى بداية هذا التمهيد أن ألقى الضوء على معنى كلمة (بديع) وأجلى مدلولها من خلال كلام العرب الذى سجله اللغويون فى كتبهم، قال الزمخشرى: أبدع الشىء وابتدعه اخترعه، وابتدع فلان هذه الركية، وسقاء بديع جديد ويقال أبدعت الركاب إذا كلت، وحقيقته أنها جاءت بأمر حادث بديع، وأبدع بالراكب إذا كلت راحلته[1].

فالشىء البديع أو المبتدع -كما تنبئ هذه الكلمات - هو الحادث، المخترع، الجديد. وكذلك الأمر الذى حدث بعد أن لم يكن موجودًا، فإذا أبطأت الراحلة بعد إسراعها، يقال أبدعت؛ لأنها جاءت بأمر بديع أى جديد هو الريث، والبطء.

وجاء فى لسان العرب، لابن منظور:

بدع الشىء يبدعه بدعا وابتدعه أنشأه وبدأه، وبدع الركية استنبطها، وأحدثها، وركى بديع حديثة الحفر، والبديع والبدع الشىء الذى يكون أولا.. والبدعة الحدث، وما ابتدع من الدين بعد الإكمال، وفى حديث عمر - رضى الله عنه - فى قيام رمضان نعمت البدعة هذه، وفلان بدع فى هذا الأمر أى أول لم يسبقه أحد، والبديع المحدث العجيب، وأبدعت الشىء اخترعته لا على مثال، والبديع من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها، والله تعالى كما قال سبحانه ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧] أى خالقها ومبدعها فهو الخالق المخترع لا عن مثال سابق[2].

وفى المعجم الوجيز:

بدعه بدعا أنشأه على غير مثال سابق فهو بديع، وبدع بداعة وبدوعا صار غاية فى صفته فهو بديع[3].

فهذه الاستعمالات لكلمة بديع تدور حول معنيين:

---

(١) أساس البلاغة (بدع).
(٢) لسان العرب (بدع).
(٣) المعجم الوجيز (بدع).

أحدهما: الجِدَّة التى تعنى إنشاء الشىء واختراعه على غير مثال سابق.

الثانى: الطرافة والبراعة التى تملأ الطرف، وتسر النظر، وتأسر اللب[1].

● البديع باعتباره فنا قوليا:

فنون البديع، وألوانه موجودة فى الأدب العربى شعره، ونثره منذ نشأته، واستوائه على سوقه، فهو جزء من كيانه، وسبب من نسيجه، وقد فاه به العرب، ونطقت به ألسنتهم عفو الخاطر دون تمحل، أو تعمل أو عمد، وإصرار، وشعرهم مشحون بهذه الفنون، ملىء بضروبها فمن ذلك فى الشعر الجاهلى:

الطباق فى قول امرئ القيس:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معا ... كَجُلْمُود صَخْرٍ حَطَّهُ السيلُ من عَلِ

وفى قول زهير بن أبى سلمى:

لَيْثٌ بِعَثَّرَ يَصْطادُ الرجالَ إذا ... ما كَذَّبَ اللَّيْثُ عن أقْرانه صَدَقَا

والمقابلة فى قول النابغة الجعدى:

فتًى تَمَّ فيه ما يَسُرُّ صديقَهُ ... على أن فيه ما يسوءُ الأعاديا

والإرصاد فى قول زهير بن أبى سلمى:

سَئِمْتُ تكاليفَ الحياةِ وَمَنْ يَعِشْ ... ثَمانينَ حَوْلا لا أبالَكَ يسأمِ

وقول عمرو بن معديكرب الزبيدى:

إذا لم تستطعْ شيئا فدعْهُ ... وجاوزه إلى ما تستطيع

والاستطراد فى قول السموءل:

وإنا لقومٌ ما نرى القتل سُبَّةً ... إذا ما رأَتْهُ عامرٌ وسَلُول

واللف والنشر فى قول امرئ القيس:

كأن قلوب الطيرِ رَطْبًا وَيابسا ... لَدَى وَكْرِهَا العُنَّابُ والحشفُ البالى

---

(١) ينظر بديع القرآن ص ٨ ابن أبى الإصبع ت د. حفنى محمد شرف.

والتجريد فى قول الأعشى:

وَدِّعْ هريرةَ إن الركبَ مرتحلُ   وهل تُطيق وداعا أيُّها الرجلُ

وقوله:

يا خيرَ مَنْ يَركَبُ المطِيَّ ولا   يشربُ كأسا بِكَفٍّ مَنْ بَخِلا

وتأكيد المدح بما يشبه الذم فى قول النابغة الذبيانى:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أن سُيوفهم   بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكتائِبِ

ورد العجز على الصدر فى قول امرئ القيس:

إذا المرءُ لم يَخْزُنْ عليه لسانَه   فليس على شىءٍ سواه بِخَزَّان(1)

وهو كثير فى القرآن الكريم ومنه على سبيل المثال:

الطباق فى قوله تعالى: ﴿تُؤْتِى الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

والمقابلة فى قوله تعالى ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨٢].

واللف والنشر فى قوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ [القصص: ٧٣].

والقلب فى قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: ٣].

وقوله: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ﴾ [يس: ٤٠].

وكذلك توجد الفنون البديعية فى البيان النبوى الشريف ومنه على سبيل المثال أيضا.

المقابلة فى قوله ﷺ للأنصار - رضى الله عنهم - «إنكم لَتَكْثُرُونَ عند الفَزَع، وَتَقِلُّونَ عند الطَّمع».

(١) ينظر فى ذلك كله الصبغ البديعى من ص٢٧ للدكتور أحمد موسى.

وتأكيد المدح بما يشبه الذم فى قوله ﷺ:

«أنا أفصحُ العرب بَيْدَ أَنـّى من قريش».

والاطراد: فى قوله عليه الصلاة والسلام: «الكريمُ بنُ الكريم بنُ الكريمِ بنُ الكريم يوسفُ بنُ يعقوبَ بن إسحاقَ بن إبراهيم[1]» وأمثلته أكثر من أن تحصى فى عصر صدر الإسلام، وعصر بنى أمية، والعصر العباسى قبل أن يعرف البديع بمعناه الاصطلاحى المعهود.

ولا حاجة هنا إلى سرد طرف منها فى هذه العجالة.

● **البديع باعتباره علما اصطلاحيا:**

رأينا أن فنون البديع كانت تأتى فى كلام العرب استجابة لفطرتهم الصافية، وسليقتهم الرائقة دون قصد إليها، وشغف بها، ذلك كان دأبهم، وتلك شيمتهم حتى جاءت الدولة العباسية، وعاش العرب فى أمن ورخاء، ورفاهة واستقرار، ورغد من العيش، فازدادت عقول الشعراء ثراء، وصار خيالهم أكثر رحابة، وأوسع مدى، ومالوا إلى الإكثار من فنون البديع.

وكان بشار بن برد المتوفى عام ١٦٧ أو ١٦٨هـ أول من أكثر فى شعره من البديع، ومن طباقه فى مدح عمرو بن العلاء.

إذا أيقظتك حروبُ الْعِدَا فنبه لها عَمْرا ثمَّ نَمْ

ومن تقسيمه الرائع قوله يصف جيشا من قصيدة يمدح عمر بن هبيرة حين وفد عليه بالعراق.

بضَرْبٍ يذوقُ الموتَ من ذاقَ طَعْمه وتُدرِكُ مَنْ نَجَّى الفرار مَثَالبُه[2]
كأن مُثَارَ النَّقْعِ فوق رُءُوسنا وأسْيافَنا ليلٌ تَهَاوَى كواكبُه
بعثنا لهم موتَ الفُجَاءة إننا بنو الموت خفاق علينا سبائبه[3]

(١) ينظر الصبغ البديعى من ص ٢٧ للدكتور أحمد موسى. (٢) مثالب – جمع مَثْلَبَة –.

(٣) السبائب جمع سبيبة وهى الشقة الرقيقة من الكتان والمراد أعلام الجيش المحارب.

فراحوا فريقٌ فى الإسار ومثْلُهُ   قتيلٌ ومثلٌ لاَذَ بالبحرِ هَارِبُه[1]
إذا الملكُ الجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّه   مشينا إليه بالسيوفِ نُعَاتِبه[2]

التقسيم فى البيت الأول، والرابع، وقد امتدحه ابن رشيق فقال: البيت الأول قسمان إما موت، وإما حياة تورث عارا ومثلبة، والبيت الآخر ثلاثة أقسام أسير وقتيل وهارب فاستقصى جميع الأقسام، ولا يوجد فى ذكر الهزيمة زيادة على ما ذكر[3].

وقد سار على نهج (بشار) فى الإكثار من فنون البديع شعراء آخرون، كابن هرمة، والعتابى، وأبو نواس[4].

وجاء بعد ذلك (مسلم بن الوليد) المتوفى ٢٠٨هـ فأكثر من البديع فى شعره كثرة مفرطة، ونهج نهجه أبو تمام (٢٣١) وأربى عليه فى الإفراط من البديع فى شعره، فأثقله بحلى الزينة، والزخرف، وضروب التنميق والتكلف، والتعقيد، حتى إنه يمكن أن يقال إنه أتى بما لم يأت به شاعر قبله، أو بعده[5].

وأول من ألف فى البديع ابن المعتز المتوفى ٢٩٦هـ فقد ألف كتابا سماه (البديع) وأفصح عن منهجه والباعث على تأليفه فقال: «قد قدمنا فى أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا فى القرآن واللغة وأحاديث رسول الله ﷺ وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الذى سماه المحدثون (البديع) ليعلم أن بشارا ومسلما وأبا نواس ومن تقيلهم - أى أشبههم - وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثير فى أشعارهم فعرف فى زمانهم حتى سمى بهذا الاسم»[6].

---

(١) الإسار - الأسر.
(٢) صعر خده - أمال نظره عن الناس كبرا. نعاتبه - نقاتله.
وينظر المنتخب من أدب العرب ص٢٥ على الجارم وآخرون ١٩٥٣م دار الكتاب العربى.
(٣) العمدة ٢/ ٢١.   (٤) الصيغ البديعى من ص٦٣.
(٥) ينظر المرجع السابق ص٨٢.
(٦) البديع لابن المعتز/ ـ ١ تحقيق كراتشقوفسكى ـ منشورات دار الحكمة دمشق.

وقد ذكر خمسة أنواع سماهـا (بديعا) وهى الاستعارة ـ التجنيس ـ المطابقة ـ رد الأعجاز على ما تقدمها - المذهب الكلامى.

وذكر ثلاثة عشر نوعا آخر سمـاها محاسن الكلام هى الالتفات ـ الاعتراض ـ الرجوع ـ حسن الخـروج من معنى إلى معنى - تأكيد المدح بما يشـبه الذم ـ تجاهل العـارف ـ الهزل الذى يراد به الجـد ـ حـسن التضـمين ـ الـتعـريض والكناية ـ الإفراط فى الصفـة ـ حسن التشبـيه ـ إعنات المرء نفسه (لزوم مـا لا يلزم) حسن الابتداءات[1].

وغنى عن البيان أن جـميع ما ذكره ليس بديعا بحتـا فى منظور المتأخرين، وإنما هو أخلاط من المعانى والبيان والبديع.

وظلت فنون البديع مختلـطة بغيرها من مسائل علم المعانى والبيـان لدى كوكبة من المؤلفين بعـد ابن المعتز حتى عند الشـيخ عبد القاهر الجـرجانى ت٤٧١هـ رائد البلاغة العربية وفارس حلبتها. فقـد أطلق اسم (البديع) على التشبيه، والاستعارة والتمثيل، والمجاز اللغوى، والعقلى، أسوة بالطباق، والجناس[2].

ولعل أول من حاول أن يفصل بين تلك الفنون وغيرها من المسائل البلاغية هو السكاكى ت ٦٢٦هـ، وإن كان هذا الفصل ليس حاسـما؛ لأنه عد من المحسنات المعنوية الاعـتـراض، والإيجاز والإطـناب، والالتفـات، فـقد قـال «هنا وجـوه مخـصوصة كثـيرا ما يصار إليـها لقصد تحـسين الكلام، فلا علينا أن نشـير إلى الأعـرف منهـا، وهى قـسـمـان: قـسم يرجع إلى المعنى. وقـسم يرجع إلى اللفظ»[3].

وعد من الـقسم الأول ـ الطبـاق، والمقابلة، والمشـاكلة، والمزاوجة، ومـراعاة النظير، وعد من القسم الذى يرجع إلى اللفظ ـ الجناس والسجع والقلب[4].

---

(١) ينظر بديع القرآن ص٢٠.

(٢) ينظر أسرار البلاغة ت محمد رشيد رضا من ص١٤.

وبديع القرآن ص ٢٦، ٢٧.

(٣) مفتاح العلوم ص٢٠٠ وما بعدها.

(٤) المرجع السابق، الموضع نفسه

ويبدو أن أول من فصل بين العلوم الثلاثة المعانى، والبيان، والبديع هو (بدر الدين بن مالك) ت سنة ٦٨٦هـ الشهير بابن الناظم، فقد جعل البديع علما مستقلا بنفسه، وجعل القسم الثالث من كتابه (المصباح) خاصا بالبديع[١].

إلا أنه حذا حذو السكاكى فى جعله فنون البديع محسنات تابعة لفصاحة الكلام وبلاغته.

وأخيرا جاء الخطيب القزوينى ت ٧٣٩هـ صاحب (تلخيص المفتاح)، و(الإيضاح) اللذين طبقت شهرتهما الآفاق، فوضع اللمسة الأخيرة فى تطور هذه الفنون، ومسيرتها نحو التميز والاستقلال، فجعل (البديع) علما مستقلا بذاته، متمايزا عما عداه، وجعله قسمين أحدهما محسنات معنوية. والثانى محسنات لفظية[٢].

١- المحسنات المعنوية:

وهى التى يكون التحسين بها راجعا إلى المعنى أولا وبالذات، ويتبعه تحسين اللفظ ثانيا وبالعرض، والعلامة المميزة لهذا النوع هى أنه لو غير اللفظ بما يرادفه، لبقى المحسن كما كان قبل التغيير.

٢- المحسنات اللفظية:

وهى التى يكون التحسين بها راجعا إلى اللفظ أولا وبالذات، ويتبعه تحسين المعنى ثانيا وبالعرض.

والعلامة المميزة لهذا النوع أنه لو غير أحد اللفظين بما يرادفه، لزال ذلك المحسن[٣].

وسيتناول هذا العمل - إن شاء الله تعالى - فنون هذين النوعين- كما جاءت فى كتاب (الإيضاح) للخطيب القزوينى تبويبا، وترتيبا.

---

(١) المصباح ص م فى المقدمة وص ١٥٩.

(٢) تلخيص المفتاح ص٣٤٧ شرح عبد الرحمن البرقوقى.

(٣) ينظر البلاغة التطبيقية ص ٢٧٦، ٢٧٧.

الفصل الأول

المحسنات المعنوية

- الطباق:
- مراعاة النظير.
- المشاكلة.
- المزاوجة.
- الرجوع.
- الاستخدام.
- الجمع.
- التقسيم.
- الجمع مع التقسيم.
- التجريد.
- المذهب الكلامى.
- التفريع.
- تأكيد الذم بما يشبه المدح.
- الإدماج.
- التوجيه.
- تجاهل العارف.
- المقابلة.
- الإرصاد أو التسهيم.
- الاستطراد.
- العكس والتبديل.
- التورية.
- اللف والنشر.
- التفريق.
- الجمع مع التفريق.
- الجمع مع التفريق والتقسيم.
- المبالغة.
- حسن التعليل.
- تأكيد المدح بما يشبه الذم.
- الاستتباع.
- الهزل الذى يراد به الجد.
- القول بالموجب.
- الاطراد

الطباق

الطباق والمطابقة مصدر الفعل طابق، ويسمى التضاد أيضًا، ومعناه فى اللغة التساوى والموافقة قال صاحب لسان العرب: وقد طابقه مطابقة وطباقًا، وتطابق الشيئان تساويا، والمطابقة الموافقة، والتطابق الاتفاق، وطابقت بين الشيئين إذا جعلتهما على حذو واحد وألزقتهما[1].

وفى اصطلاح البلاغيين هو الجمع بين المتضادين أى معنيين متقابلين فى الجملة[2].

وهو مأخوذ من طباق الإبل والخيل ونحوهما يقال طابق الفرس إذا وقعت قوائم رجليه فى موضع قوائم يديه فى المشى، أو العدو وطابق البعير فى مشيه إذا وضع خف رجله موضع خف يده، وكذلك مشى الكلاب.

قال النابغة الجعدى:

وخَيْلٍ يُطابِقْنَ بالدَّارِعين ... طِبَاقَ الكِلاَبِ يَطَأْنَ الهِرَاسا

والهراس شوك شديد الإيذاء كالحسك[3].

ويظهر بديا للنظرة العجلى أن هناك تدابرًا وتظاهرًا بين المعنى اللغوى، والمعنى الاصطلاحى، لأن أحدهما يعنى الموافقة، والآخر يعنى المضادة، ولكن بالتأمل الدقيق والنظرة الفاحصة ـ فيما قاله أهل العلم ـ تستشف ما بينهما من صلة وتوافق، وقد أبان ابن أبى الإصبع ـ رحمه الله ـ عن هذه الوصلة الواشجة بينهما فقال:

«إن القوم رأوا أن البعير قد جمع بين الرجل واليد فى موطئ واحد[4] والرجل واليد ضدان أو فى معنى الضدين فرأوا أن الكلام الذى قد جمع فيه بين الضدين يحسن أن يسمى مطابقًا، لأن المتكلم به قد طابق فيه بين الضدين»[5].

---

(١) مادة (طبق). (٢) الإيضاح ص٤ (البغية).

(٣) ينظر الموازنة للآمدى ١/٢٨٨، ٢٨٩، وتحرير التحبير، لابن أبى الإصبع ص١١١.

(٤) يريد باليد الرجل الأمامية. (٥) التحرير والتحبير ص١١١.

وقد صار هذا أمرًا متعارفًا عليه بين البلاغيين حتى حكم أبو هلال العسكرى بأنهم أجمعوا عليه حين قال: «قد أجمع الناس أن المطابقة فى الكلام هو الجمع بين المعنى وضده فى جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة، مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل والنهار، والحر والبرد...»(١).

• **ضروب الطباق:**

ذكر علماء البلاغة أن اللفظين المتطابقين قد يكونان اسمين، أو فعلين، أو حرفين، وقد يكونان مختلفين كاسم وفعل.

• **الطباق بين اسمين:**

يأتى الطباق بين اسمين كما فى قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨] وكما فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤].

وكما فى قوله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] وكقوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

ومن المطابقة بين اسمين فى الحديث قوله ﷺ: **«خير المال عين ساهرة لعين نائمة»** يقصد عين الماء ينام صاحبها وهى تروى أرضه.

ومنه قوله ﷺ فى بعض خطبه: **«... فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات، فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة والنار»**.

ففى هذا الحديث مطابقة بين دنياه وآخرته، وبين الشبيبة والكبر، وبين الحياة والممات، وبين الجنة والنار.

وقول المتنبى:

وإذا أتَتْكَ مَذَمَّتى مِنْ ناقصٍ ... فهى الشهادةُ لِى بأنِّى كَامِلُ

(١) الصناعتين ص ٣٣٩.

وقول السموءل:

سَلِى إنْ جَـهِلْتِ الناسَ عنّا وعَنْهُم   فليـس سـواءً عـالمٌ وجَـهُـولُ

ومنه فى النثر قول الحريرى: . . . ولا فَاهوا بِبَـيْضَاءَ وَلا سَوْداء، أى لم ينطقوا بكلمة طيبة، ولا كلمة رديئة.

ومثـل ذلك قـوله: «فلم ينطق بحُلوة ولا مُـرّة»، أى لـم ينطق بكلمة حـسنة، ولا قبيحة، وذلك أكثر من أن يحصى.

•الطباق بين فعلين:

من الطباق بين فـعلين فى القرآن الكريم قـوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ﴾ [إبراهيم: ٣٨].

وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النحل: ١٩].

وقوله: ﴿تُؤْتِى الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وقوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [النجم: ٤٣، ٤٤].

والمطابقة فى هذه الآيات أظهر من أن تخفى.

ومن المطابقة بين فعلين فى الشعر قول بشار:

إذا أيقـظتـك حـــروبُ العــــدا   فَنَبِّــهْ لهَـــاَ عَـــمْــرا ثـم نَمْ[1]

فقد طابق فى البيت بين نبه، ونم.

ومن المطابقة بين فعلين فى الشـعر أيضًا قول الفرزدق من قصـيدة له فى هجاء جرير:

---

(١) المراد بعمرو فى البيت عمـرو بن العلاء من كبار الدولة العباسية وكان من المقـربين للخليفة المهدى، وقد مدحه كثير من الشعراء منهم بشار بن برد.

لَعَنَ الإلهُ بنى كُليْبٍ إنهم لا يغدرون ولا يَفُونَ لجَارِ
يستيقظون إلى نَهيق حمارهم وتنامُ أعْيُنُهُم عن الأَوْتَار

يريد أنهم لا يخونون عدوهم لعجزهم وضعفهم، والأوتار جمع وتر بفتح الواو وكسرها وهو الثأر، يذمهم بأنهم يهتمون بأمر حمارهم، ولا يحفلون بأخذ ثأرهم.

وقد أشاد الخطيب القزوينى بالبيت الأول وذكر أن فيه تكميلاً حسنًا، لأنه لو اقتصر على قوله لا يغدرون، لاحتمل ضربًا من المدح، إذ تجنب الغدر قد يكون عن عفة، فقال لا يفون، ليفيد أنه للعجز كما أن ترك الوفاء للؤم، وأضاف أنه حصل فيه إيغال حسن لأنه لو اقتصر على قوله: «لا يغدرون ولا يفون» تم المعنى الذى قصده ولكنه لما احتاج إلى القافية أفاد بها معنى زائدًا حيث قال «لجار» لأن ترك الوفاء للجار أشد قبحًا من ترك الوفاء لغيره(١).

وكذلك أثنى ابن أبى الإصبع على هذين البيتين ثناء جميلاً وصرح بأنهما من أفضل شعر سمعه فى هذا الباب(٢).

وأبان عما فى البيت الأول من تكميل وإيغال، وكأن الخطيب قد تأثر كلامه، وأفاد منه(٣).

ومن الطباق بين فعلين فى النثر قولهم ـ مثلاً ـ فلان يضر وينفع، ويعطى ويمنع، ويحلى ويمر، ويكر ويفر، ويقدم ويحجم وغير ذلك.

●الطباق بين حرفين:

من الطباق بين حرفين قوله تعالى: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ففيه مطابقة بين اللام فى (لها) وعلى فى (عليها) فاللام فى الآية مؤذنة بالانتفاع بالأعمال الصالحة، وعلى للاستعلاء المشعر بالتحمل بالأوزار، والآثام.

---

(١) الإيضاح ص ٦ (البغية). (٢) ينظر التحرير والتحبير ص١١٣.

(٣) ابن أبى الإصبع متوفى عام ٦٥٤هـ.

وهذا كقولهم: الدهر يومـان يوم لك، ويوم عليك.. فاللام فى (لك) توحى بأن الدنيا قد أقـبلت نحوك، وأتتك وهى راغمة، وانثالت عـليك النعم والخيرات من كل جانب، و(عـلى) فى عليك تنبئ عن إدبار الدنيا، وتكاثـر الآلام، والمتاعب، التى ينوء بها عاتقه، ويعيا بحملها ظهره.

ومن الطباق بين حرفين فى الشعر قول الشاعر:

على أننى راضٍ بـأن أَحْـمِلَ الهـوى وأخـلصَ مـنه لا عـلـيَّ ولا لِيَـــا

فقد طـابق الشـاعـر بين اللام فـى (لى) و(على) يـريـد أنه تحمل فى الهـوى ما يستحق الإشادة والتنويه، ولكنه يرضى بأن يخلص منه، دون قدح، أو مدح.

●الطباق بين اسم وفعل:

من الطباق بين اسم وفعل فى القـرآن قوله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

ففى الآية طباق بين (ميتا) وهى اسم و(أحيينا) وهى فعل.

وكذلك قوله تعالى على لسـان عيسى عليه السلام ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧]

ففى الآيتين طباق بين فعل واسم، وذلك واضح.

ومن ذلك فى الشعر قول طفيل الغنوى:

بسَـــاهِم الْوَجْـــهِ لم تُـقْطَعْ أبَاجِـلُهُ يُصَـانُ وهو ليـوم الرَّوْعِ مـبـذولُ[1]

فقد طابق بين (يصان) و(مبذول) وهما فعل واسم كما هو واضح.

ومن هذا النوع قول الطغرائى فى لاميته:

(١) ساهم الوجـه/ محمول على كـريهة الجرى، متغيرة من كـثرة الجرى، و الأباجل جـمع أبجل عرق فى الفرس والبعير بمنزلة الأكحل من الإنسـان.
الروع: الفزع.

فـقلتُ أدعـوك لِلْجُلَّى لِتَنْصُـرَنى   وأنت تَخْـذُلُنـى فى الحـادث الجَلَلِ
تنام عَـيْـنى وعـينُ النـجم سـاهرةٌ   وتَستـحيلُ وصبْغُ اللَّـيْلِ لم يَحُلِ

ففى البيت الثانى مطابقة بين (تنام) و(ساهرة) وهما فعل واسم.

● **الطباق الظاهر والخفى:**

الطباق يكون ظاهرًا - كما تقدم، وقد يكو خفياً نوع خفاء كقوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ [نوح: ٢٥] طابق بين (أغرقوا) و(أدخلوا نارًا) لما يوحى به الإغراق من الماء المشتمل عل البرودة غالبًا، وما ينبئ به إدخال النار من حرارة النار، وكما فى قول أبى تمام:

مـهـا الوحش إلا أن هاتـا أوَانِسُ   قَـنَـا الخَـطِّ إلا أنَّ تِـلْـكَ ذَوَابِـلُ(١)

فـقـد طابق بين (هاتا) وهى اسم إشـارة للقـريب، و(تلك) وهى اسم إشـارة للبعيد، لما فى (هاتا) من القرب، و(تلك) من البعد.

● **طباق الإيجاب، وطباق السلب:**

وقـد يكون الطباق طبـاق إيجاب - كـمـا ذكر من الأمـثلة. وقد يكون طبـاق سلب، وهو - كما عرفه الخطيب - الجمع بين فـعلى مصدر واحد مثبت ومنفى، أو أمر ونهى(٢).

كقـوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ﴾ [الروم: ٦، ٧].

فإن يعلمـون فى الموضعين فـعل مصدر واحـد وهو العلم وأحدهما مـثبت، والآخر منفى.

---

(١) المها - جمع واحده، مهاة وهى البقرة الـوحشية، وقنا جمع مفرده قناة وهى الرمح، والخط - بلد تصنع به الرماح يشبههن بالبقر الوحشى فى اتسـاع العيون، ويفضلهن بأنهن أوانس يؤنس إلى حديثهن، ويشبه قدودهن بالرماح فى الاستقامة والاعتدال، ويفضلهن بالنضارة، والبضاضة.

(٢) الإيضاح ص٧ (البغية).

ومثل قول السموءل:

وَنُنْكِرُ إن شئنا على الناس قولَهم ... ولا يُنكرون القولَ حين نَقُول

فطابق بين (ننكر) (ولا ينكرون) على نحو ما عرفت، وهذا البيت من رائعته التى يقول فى مطلعها:

إذا المرءُ لم يَدْنَسْ من اللُّؤْمُ عِرْضُه ... فكلُّ رداءٍ يرتديه جميلُ

وإن هو لم يَحْمِل على النفس ضَيْمَهَا ... فليس إلى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلُ

ومن هذا النوع من المطابقة قول بعضهم:

خُلِقُوا وما خُلِقُوا لِمَكْرَمَةٍ ... فكأنهم خُلِقُوا وما خُلِقُوا

رُزِقُوا وما رُزِقُوا سَمَاحَ يَدٍ ... فكأنهم رُزِقُوا وما رُزِقُوا

ومنه قول البحترى:

يُقَيِّضُ لى من حيثُ لا أعلم النَّوَى ... ويَسْرِى إلىّ الشَّوْقُ من حيثُ أَعْلَمُ(١)

والطباق بين الأمر والنهى كما فى قوله تعالى: ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤].

ومنه كذلك قول ابن دريد فى مقصورته:

والدَّهْرُ يكبو بالفتى وتارةً ... يُنْهِضُهُ مِنْ عَثْرَةٍ إذا كبا

لا تعجبنْ من هالكٍ كيف هَوَى ... بل فاعجبنْ من سالمٍ كيف نجا

فيه طباق بين (لا تعجبن) و(فاعجبن) فأحدهما نهى، والآخر أمر.

●الطباق المسمى تدبيجًا(٢):

ذكر الخطيب أن بعضهم يطلق على بعض صور الطباق (تدبيجا) وحدّه بأن يذكر فى معنى من المعانى كالمدح وغيره ألوان بقصد الكناية أو التورية.

---

(١) يقيض ـ يهيأ، والنوى ـ الفراق.

(٢) التدبيج مأخوذ من دبج المطر الأرض أى زينها بألوان النبات.

فتدبيج الكناية: كما فى قول أبى تمام فى قصيدته التى يرثى بها محمد بن حميد الطوسى:

كـذا فليـجل الخطبُ وليـفْدَحِ الأمـرُ ... فليس لـعـينٍ لم يَفِضْ مــاؤُها عُـذْرُ

تُوُفِّـيَتْ الآمــالُ بعــد مـحــمــدٍ ... وأصبح فـى شُغْلٍ عن السَّفرَ السَّفْرُ

تردَّى ثيـابَ الموتِ حُـمْرا فـمـا أتى ... لها الليلُ إلا وهى من سُنْدسٍ خـضرُ

ففى البيت الأخير من الألوان (حمراء، وخضر) وقد ذكرا بقصد الكناية والمعنى أنه ارتدى ثياب الحـرب التى استشهـد فيها، وقـد لطخت بالدماء، فلم يمض يوم قتله، ولم يدخل الليل إلا وقد صارت الثياب خضرا من سندس الجنة[1].

والثياب الحمـر كناية عن القتل، والثياب الخضـر كناية عن دخول الجنة، وكلمة خضر مرفوعة؛ لأنها خبر بعـد خبر عن الضمير (هى) وليست صفة لسندس، لأن القوافى مضمومة الروى[2].

ومن تدبيج الكناية أيضًا قول ابن حيوس:

طالمـا قلـتُ للمـســـائل عنكـمُ ... و اعـــتـــمــادى هـدايةَ الضُّـــلاَّلِ

إن تُرِدْ عِـلْمَ حـــالهم عـن يقـــينٍ ... فـــالْقَـــهُـمْ يومَ نـائل أو نـزَالِ

تلقَ بيضَ الـوجـوهِ سُـودَ مُـثَـار النَّقْـعِ خُـضْرَ الأَكْنَافِ حُـمْرَ النِّصَـالِ[3]

فبيض الوجـوه كناية عن كرمهم، وسـود مثار النقع،وخضر الأكـناف، وحمر النصال كنايات عن شجاعتهم.

وتدبيج التورية: كما فى قول الحريرى: فمذ اغبر العيش الأخضر وازور المحبوب الأصفر، اسود يومى الأبيض، وابيض فودى الأسود، حتى رثى لى العدو الأزرق فياحبذا الموت الأحمر[4].

---

(١) انظر معاهد التنصيص، للعباسى ٢/١٧٨ـ ١٧٩.

(٢) انظر شروح التلخيص ٤/ ٢٩٢.

(٣) النائل ـ العطاء، والنزال أى التلاقى فى الحرب، النقع ـ الغبار. النصال ـ الرماح أو السيوف.

(٤) الإيضاح ص١٠ (البغية). وانظر مقامات الحريرى ١/ ١٣٣.

والتورية في قول الحريري في قوله وازور المحبوب الأصفر أي تباعد وصد عنه فالمحبوب الأصفر له معنيان أحدهما قريب وهو الإنسان الموصوف بالصفرة المحبوب وهو غير مراد والثاني بعيد وهو الذهب الأصفر، وهو المراد.

ومعنى عبارة الحريري أنه منذ ضاق عيشه، وقل ماله، وذهب ذهبه، اسودت الدنيا في عينه، وأصابه الضعف والهزال، حتى رثى الأعداء لحاله، وتمنى لنفسه الموت الزؤام.

أما الصفات الباقية في كلام الحريري فهي كنايات فالعيش الأغبر كناية عن ضيقه، والعيش الأخضر كناية عن طيبه ونعومته، واسوداد اليوم الأبيض كناية عن حزنه، وبياض فوده كناية عن ضعفه، ووهنه من الهموم والأحزان، والموت الأحمر كناية عن الموت الشديد.

●ما يلحق بالطباق:

يلحق بالطباق شيئان:

أحدهما: أن يجمع بين معنيين ليس أحدهما مضاداً للآخر، ولكن يتعلق أحدهما بما يضاد الآخر بسببية أو لزوم أو نحوهما كما في قوله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

فإن الرحمة مسببة عن اللين الذي هو ضد الشدة، فيكون التعلق بينهما تعلق السببية. وليس بين الرحمة والشدة أنفسهما تضاد.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ [القصص: ٧٣].

فإن ابتغاء الفضل يستلزم الحركة المضادة للسكون، وقد آثر النظم الكريم ابتغاء الفضل، دون الحركة؛ لأن الحركة إما أن تكون للمصلحة والمنفعة، وإما أن تكون للفساد، والمضرة، والمراد الأولى لا الثانية.

= وقد لحظت أن الخطيب بدأ عبارة الحريري بقوله فمذ ازور المحبوب الأصفر، وهي في المقامات كما ذكرت، ولعله نقل عن نسخة أخرى والخطب في ذلك سهل.

ومن ذلك قول المقنع الكندى:

لَهُمْ جل مالى إن تَتَابَعَ لى غِنًى   وإن قلَّ مالى لا أكَلِّفُهُم رِفْدا[1]

فقد قابل بين (تتابع لى غنى) و(قل مالى).

وكان المفروض أن يقابل قلة المال بكثرته التى هى ضدها، ولكنه عدل عن ذلك، وقابل القلة بسبب الكثرة، وهو تتابع الغنى.

الثانى: أن يجمع بين معنيين غير متضادين عبر عنهما بلفظين يتضاد معناهما الحقيقيان ويسمى ذلك **إيهام التضاد**.

كما فى قول دعبل الخزاعى:

لا تعجبى ياسَلْمُ من رجلٍ   ضَحِكَ المشيبُ برأسه فَبكَى

فإن ضحك المشيب استعارة لظهور الشيب، وبكاؤه حقيقى، فالضحك لا يضاد البكاء فى البيت، ولكن معنييهما الحقيقيين متضادان.

ومنه قول أبى تمام:

ما إن ترى الأحسابَ بِيضًا وُضَّحًا   إلا بحيثُ تُرَى المنايَا سُودَا

فقد جمع بين (بيضا وضحا) وهما استعارتان لنقاء الأحساب من الدنس، و(ترى المنايا سودا) وهى كناية عن القتل فى الحرب، ولا تضاد بينهما فى البيت، ولكن معنييهما الحقيقيين أى البياض الواضح والسواد متضادان.

ومنه قوله فى الشيب:

له منظرٌ فى العين أبيضُ ناصعٌ   ولكنه فى القلب أسودُ أسفعُ

فقد قابل بين (أبيض ناصع) أى شديد البياض، و(أسود أسفع) أى السواد الشديد المائل إلى الحمرة، وبياض الشيب فى البيت حقيقى، وسواده فى القلب مستعار لما يجلبه لصاحبه من هم وحزن، فلا تقابل بينهما فى البيت وإنما التقابل بين معنييهما الحقيقيين.

---

(١) الرفد ـ العطاء، جل ـ معظم يقول إن كثر ماله بذل أكثره لهم، وإن قل ماله لا يطلب صلتهم وعطاءهم.

● **الطباق والمجاز:**

يتراءى لمن يطالع كلام كوكبة من البلاغيين أن مجيء الطباق بين الألفاظ المستعملة فى معانيه الحقيقية محل إجماع، وموافقة بينهم، وأمثلته من الكثرة بحيث لا تستدعى أن نسوق منها أكثر مما ذكر من قبل.

أما مجيئه بين ألفاظ المجاز فلم تتفق فيها كلمتهم، أو تتحد وجهات نظرهم، فأبو هلال العسكرى ـ كما يبدو من خلال أمثلته للطباق ـ يسوى بين ألفاظ المجاز، وألفاظ الحقيقة، ويعتبرهما صنوين، فقد أتى ضمن أمثلته بطباق لفظاه مجازان، وذلك قوله تعالى: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

أى ليخرجكم من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة، وهما استعارتان وأتى بطباق أحد لفظيه حقيقة، والآخر مجاز، وهو قول الشاعر:

لا تعجبى يا سلمُ من رجلٍ ضَحِكَ المشيبُ برأسه فبكى

وقد علمت أن (ضحك) استعارة، و(بكى) حقيقة، وتأسيسًا على ذلك يتضح أن الطباق عنده يتأتى بين حقيقتين، أو مجازين، أو مجاز وحقيقة[1].

ويتفق بدر الدين بن مالك مع هذه الوجهة، وينحو هذا النحو فقد ذكر صراحة دون أن يكلفنا مئونة الاستنباط أن الطباق يأتى بين لفظين حقيقيين، أو مجازيين، أو مختلفين.

فقد ذكر أن المطابقة ثلاثة أضرب **أولها**: ما لفظاه حقيقتان كما فى قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨].

وثانيهما: ما لفظاه مجازان كما فى قوله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

ثالثهما: ما كان أحد لفظيه حقيقة، والآخر مجازًا كما فى قول أبى تمام:

له منظرٌ فى العين أبيضُ ناصعٌ ولكنه فى القلب[2] أسودُ أسفَعُ

---

(١) الصناعتين ص٣٤٠، ٣٤١.

(٢) المصباح ص١٩١، ١٩٢.

ويمضى فى هذا التوجه أيضًا ابن أبى الإصبع مع اختلاف ضئيل فقد جعل الطباق ضربين ضرب يأتى بألفاظ الحقيقة، وضرب يأتى بألفاظ المجاز، ولكنه سمى ما يأتى بألفاظ المجاز تكافؤا ومثل لذلك بقول الشاعر:

حُلْوُ الشَّمَائِلِ وهو مُرٌّ بَاسِلٌ   يحمى الذِّمَارَ صبيحةَ الإرْهَاقِ

فإنه لما كان قوله (حلو) و(مر) خارجًا مخرج الاستعارة إذ ليس الإنسان، ولا شمائله مما يذاق بحاسة الذوق، كان هذا تكافؤا(1).

طباق معيب:

قد لا يوفق القائل فى اختيار كلماته التى ينظم منها كلامه، أو يصوغ عباراته، فيقابل بين ألفاظ ليست متضادة، أو متعلقة بضد مقابلتها، وحينئذ يكون هذا الطباق المزعوم معيبًا، لأن قائله لم يصب فيه المحز، ولم يضع الهناء مواضع النقب، من ذلك قول المتنبى:

يرى فى النوم رُمْحَكَ فى كُلاَهُ   ويخشى أن يراهُ فى السُّهادِ

فقد قصر الشاعر فى ذكر السهاد، لأنه أراد اليقظة ليطابق بها النوم فأخطأ. إذ ليس كل يقظة سهادًا، وإنما السهاد امتناع الكرى فى الليل، وأما المستيقظ فى النهار فلا يسمى ساهدًا(2).

وقد غَلَّط ابنُ رشيق بعض الشعراء؛ لابتعادهم عن الصواب فى مقابلاتهم فقال: (ومما يغلط فيه الناس كثيرًا فى هذا الباب ـ يقصد الطباق - الجمال والقبح كقول بعض المحدثين:

وجْهُه غايةُ الجمال ولكن   فعلُه غايةٌ لكل قبيح

وليس ضده وإنما ضده الدمامة، والقبح ضده الحسن، وقال الصولى أبو بكر يصف قلما:

ناحلُ الجسمِ ليس يَعْرِفُ مُذْ كاَ   نَ نعيما وليس يَعْرِفُ ضُرًّا

وليس بينهما مضادة، وإنما ضد النعيم البؤس(3).

---

(1) تحرير التحبير ص111، 112.

(2) الإيضاح ص121 (البغية).

(3) العمدة 2/12.

المقابلة

ومن الطباق مـا يعرف باسم المقـابلة ـ كما يرى الخطيـب ـ وإن كان السكاكى وغيره يعتـبرونها نوعا مستقـلا من أنواع المحسنات المعنوية وحدها أن يؤتى بمعنيين متـوافقين، أو أكـثر، ثم يؤتى بما يقـابلها على التـرتيب. والمراد بالتـوافق خلاف التقابل.

فمـقابلة اثنين باثنين كما فى قـوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾ [التوبة: ٨٢] أتى بالضحك والقلة المتوافقين، ثم بالبكاء والكثرة المقابلين لهما.

وقـول رسول الله ﷺ يمدح الأنصـار «إنكم لتكثـرون عنـد الفـزع، وتقلون عند الطمع».

قـابل بين الكثرة والفـزع، والقلة والطمع، وقـوله ﷺ: «إن الرفْقَ لا يكونُ فى شىء إلا زَانَه، ولا ينزع من شىء إلا شانه».

وقول النابغة الجعدى:

فَـتًـى تَمَّ فـيــه مـا يَسُـرُّ صـديـقـه ... على أن فـيــه مـا يسـوءُ الأعــاديا

قابل بين يسر صديقه، ويسوء الأعاديا ومنها قول الشاعر:

فَـواعَـجَــبًـا كـيف اتفـقـنا فناصحٌ ... وَفِيٌّ ومَطْـوِىٌّ على الغِـلّ غــادِرُ (١)

قابل بين النصح والوفاء من ناحية، والغل والغدر من ناحية أخرى.

ومن ذلك أيضا قول خالد بن صفوان يصف رجلا بقوله:

ليس له صديق فى السر، ولا عدو فى العلانية.

ومقابلة الثلاثة بالثلاثة مثل قول أبى دلامة:

ما أحـسنَ الدينَ والدنيا إذا اجتمـعا ... وأقــبحَ الكُفْــرَ والإفـلاسَ بـالرجل

---

(١) الغل –الحقد.

فقابل بين الحسن والدين والغنى المعبر عنه بالدنيا، وبين القبح والكفر والإفلاس على الترتيب، الأول للأول، والثانى للثانى، والثالث للثالث.

ومن مقابلة ثلاثة بثلاثة قول المتنبى:

فلا الجودُ يُفْنِى المالَ والجَدُّ مُقْبِلٌ ... ولا البخلُ يُبْقِى المالَ والجَدُّ مُدْبِرُ

قابل بين الجود، والإفناء، والإقبال، فى الشطر الأول والبخل والإبقاء، والإدبار فى الشطر الثانى، وقول أبى تمام:

يا أُمَّةً كان قبحُ الجور يُسْخِطُها ... دَهْرا فَأَصْبَحَ حُسْنِ العَدْلِ يُرضيها

وقول البحترى:

فإذا حاربوا أذلوا عزيزا ... وإذا سالموا أعَزوا ذليلا

ومن ذلك النوع فى القرآن الكريم قوله تعالى فى وصف رسول الله ﷺ: ﴿ ...وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف:١٥٧].

ففى الآية مقابلة بين (يحل) و(يحرم) و(لهم) و(عليهم) و(الطيبات) و(الخبائث).

ومن مقابلة أربعة بأربعة ما جاء فى قوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥-١٠].

والمقابلة فى هذا الموضع واضحة جلية إلا فيما بين اتقى واستغنى، وقد ذكر الخطيب أنها من الملحق بالطباق، فجعل المراد باستغنى أنه زهد فيما عند الله فلم يتق، أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة فلم يتق[1] وهذا كلام الزمخشرى ـ رحمه الله ـ [2] نقله عنه الخطيب.

ومن مقابلة أربعة بأربعة قول المتنبى:

---

(١) الإيضاح ص ١٥ (البغية).

(٢) الكشاف ٤/٢١٧.

أزورهم وسوادُ الليل يشفعُ لى وأنثنى وبياضُ الصُّبْحِ يُغْرِى بِى

فقوله يشفع لى أى يعيننى على الاجتماع بهم؛ لأنه يستره عن الرقباء، وقوله يغرى بى بمعنى يحضهم عليه.

قابل بين يغرى ويشفع، وأنثنى وأزور، وسواد وبياض، والليل والصبح.

وقد جعل بعضهم أن فى البيت مقابلة خمسة بخمسة، والمقابلة، الخامسة بين لى، وبى، وقد عزى هذا القول إلى الواحدى[1] فى شرح ديوان المتنبى، ولكن الأدق أنه من مقابلة أربعة بأربعة، والباء واللام فيهما من صلة الفعلين فهما غير مستقلتين.

وقد عقد الخطيب موازنة بين بيت المتنبى الذى نحن بصدده والبيت الذى عزاه الخطيب إلى أبى دلامة[2].

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

ورجح بيت المتنبى بكثرة المقابلة -لأنه من مقابلة أربعة بأربعة، مع سهولة نظمه، ولأن قافية بيت أبى الطيب متمكنة، وقافية الآخر مستدعاة، لأنها جلبت لأجل الوزن والقافية، فإن ما ذكر غير مختص بالرجل وحده.

ورجح ما أنشده أبو دلامة بجودة المقابلة فيه، على خلاف بيت المتنبى الذى قابل بين الليل والصبح، مع أن ضد الليل المحض هو النهار، لا الصبح[3].

ومن مقابلة خمسة بخمسة قول النميرى الغرناطى:

هُنَّ البُدُور تَغَيَّرَتْ لَمَّا رأَتْ شعرات رأسى آذَنَتْ بِتَغَيُّرِ

راحت تُحِبُّ دُجَى شَبَابٍ مُظْلم وَغَدَتْ تَعَافُ ضُحَى مَشِيبٍ نَيِّرِ

---

(١) انظر حاشية الدسوقى على مختصر السعد شروح التلخيص ٤/٢٩٨.

(٢) الإيضاح ص ١٤ (البغية).

نسب الخطيب هذا البيت لأبى دلامة، ولكن ابن رشيق ذكر فى العمدة أن أبا جعفر المنصور سأل أبا دلامة عن أشعر بيت قالته العرب فأنشده ما أحسن الدين (البيت) العمدة ٢/ ١٧ والبيت من شعر أبى العتاهية.

(٣) نفسه ١٥، ١٦.

فـفى الشطر الأول خـمس، قـوبلت بخـمس فى الثـانى على التـرتيب وذلك واضح.

ومن مقابلة ستة بستة قول عنترة:

على رأسِ عَـبْـدٍ تَـاجِ عِـزٍّ يَزِيـنُهُ ... وفى رِجْلِ حُـرٍّ قَـيْـدِ ذُلٍّ يَـشِـينُهُ

وهى أقصى ما وجد فى كلام العرب.

***

مراعاة النظير

مراعاة النظيـر، وتسمى أيضًا التناسب، والائتلاف، والتـوفيق، وهى أن يجمع فى الكلام بين أمر وما يناسبـه لا بالتضاد، فالقيد الأخيـر، وهو لا بالتضاد يخرج الطباق؛ لأن التناسب فيه بالتضاد.

فالجـمع بين أمرين مـتناسبـين كقوله تـعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥].

أى يجريان بحساب معلوم المقدار، لا يزيدان عليه، ولا ينقصان.

والجمع بين ثلاثة أمور كقول البحترى يصف إبلا أنضاء مهازيل:

كـالْقِـسِيِّ الْمُعَطَّفَـاتِ بَلِ الأَسْـ ـهُمِ مَـبْـرِيَّةً بل الأوتـارِ

فقد جـمع بين القسى جمع قوس، والأسهـم، والأوتار، والإضراب فى البيت للترقى، لأن السهام أرق من القسى والأوتار أرق من السهـام، وهى أشياء متناسبة لأنها من أدوات القتال.

والجمع بين أمور أربعة كقول بعضهم للمهلبى الوزير مادحًا:

أنت أيها الوزير إسماعـيلى الوعد، شعيبى التوفيق، يوسفى العـفو، محمدى الخلق، فالـتناسب بين إسماعـيل، وشعـيب ويوسف، ومحـمد عليـهم السلام، واضح، لأنهم أنبـياء، والتناسب بين الوعـد، والتوفـيق، والعفو، والخلـق لأنها أخلاق.

ولا يخفى عليك أن معنى إسـماعيلى الوعد أى صادق الوعـد، لأن الله وصفه بصدق الوعـد فى قوله ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ..﴾ [مريم: ٥٤].

وكذلك وصفه بأنه شعيبى التوفيق، لأنه معتمد على الله وحده إشارة إلى قول شـعيب عليـه السلام -كـما حكى القـرآن و ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ [هود: ٨٨]

ووصفه بالعفو اليوسفى؛ لأن يوسف عفا عن إخوته بعد أن كادوا له، وألقوه فى الجب، يريدون قتله، والتخلص منه، وقال لهم كما حكى القرآن ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

ووصفه بالخلق العظيم لأن الله وصف رسوله محمداً ﷺ بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

والجمع بين أكثر من أربعة كقول ابن رشيق:

أصَحُّ وأقوى ما سمعناه فى النَّدَى ... من الخبر المأثورِ منذُ قديم

أحاديثُ ترويها السيولُ عن الحيَا ... عن البحر عن كَفِّ الأميرِ تميمِ(١)

فإنه ناسب بين الصحة والقوة، والسماع والخبر المأثور، والأحاديث والرواية ثم بين السيل، والحيا، والبحر، وكف تميم، وهى أمور متناسبة متآخية يأخذ بعضها بحجز بعض، وفى البيت الثانى دقة وإحكام فى العنعنة إذ جعل الرواية لصاغر عن كابر كما يراعى فى سند الحديث ألا ترى أن السيول أصلها المطر، والمطر أصله البحر، والبحر أصله كف الممدوح ادعاء ومبالغة فى المدح.

● **تشابه الأطراف:**

من مراعاة النظير ما يسمى تشابه الأطراف، وهو أن يختم الكلام بما يناسب أوله فى المعنى، وهذا التناسب يكون ظاهرا، ويكون خفيا.

فالظاهر مثل قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

فإن مدلول ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ يناسبه قوله ﴿اللَّطِيفُ﴾ ومدلول ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ يلائمه قوله ﴿الْخَبِيرُ﴾ فإن من يدرك شيئًا يكون خبيرا به.

ومثل قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحج: ٦٤].

---

(١) الندى -الكرم. المأثور -المروى. الحيا -المطر.
والأمير تميم هو أبو على تميم بن المعز بن باديس.

فقد ختمت الآية بما يناسب أولها؛ لأن قوله ﴿الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ للتنبيه على أن ماله فى السموات والأرض ليس لحاجة إليه، بل هو غنى عنه، جواد به، فإذا جاد به حمده المنعم عليه.

ومن تشابه الأطراف الظاهر أيضا قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

فإن قوله ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ﴾ يناسب كونه عزيزا فى انتقامه، غالب على أمره، وأمره بقطع هذه اليد الآثمة يناسب كونه حكيما، لا يشرع لعباده إلا ما هو فى صالحهم، وصالح مجتمعهم.

قال الأصمعى: كنت أقرأ سورة المائدة ومعى أعرابى فقرأت هذه الآية (والله غفور رحيم) سهوا فقال الأعرابى كلام من هذا؟ فقلت كلام الله، قال: أعد فأعدت والله غفور رحيم ثم تنبهت فقلت: والله عزيز حكيم فقال الآن أصبت، فقلت كيف عرفت قال يا هذا عزيز حكيم فأمر بالقطع، فلو غفر ورحم لما أمر بالقطع[(١)].

والخفى:

كما فى قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

فإن قوله ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يوهم أن الفاصلة الغفور الرحيم، ولكم إذا أنعم النظر علم أنه يجب أن تكون ما عليه التلاوة؛ لأنه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه، فهو العزيز؛ لأن العزيز فى صفات الله هو الغالب من قولهم عزه يعزه عزا إذا غلبه، ومنه المثل من عَزّبزّ أى من غلب سلب، ووجب أن يوصف بالحكيم أيضا، لأن الحكيم من يضع الشىء فى محله، والله تعالى كذلك، إلا أنه قد يخفى وجه الحكمة فى بعض أفعاله فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكمة، فكان فى الوصف بالحكيم احتراس حسن أى وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب، فلا معترض عليك لأحد فى ذلك، والحكمة فيما فعلته[(٢)].

(١) انظر تفسير الفخر الرازى ١٦/٢٣٦.

(٢) انظر الإيضاح ص ١٩ مع (البغية).

• الإرصاد أو التسهيم

الإرصاد بكسر الهمزة مصدر أرصدت الشىء إذا أعددته[1] وفى اصطلاح البلاغيين أن يجعل قبل آخر الفقرة من النثر، أو البيت من الشعر ما يدل على آخره إذا عرف الروى.

كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: ١٩].

وقول زهير:

سَئِمْتُ تكاليفَ الحياةِ ومَنْ يَعِشْ ... ثمانين حولاً لا أَبَالَكَ يَسْأَمِ

وقول الآخر:

إذا لم تستطعْ شيئا فدَعْه ... وجاوزْهُ إلى ما تستطيع

وقول البحترى:

أبكيكما دَمعًا ولو أَنِّى على ... قَدْرِ الجَوَى أبكى بكيتكما دَمَا

وقوله أيضا:

أحلَّتْ دَمِى مِنْ غير جُرْمٍ وحَرَّمَتْ ... بلا سبب يوم اللِّقَاءِ كَلاَمى
فليس الذى حلَّلتِّه بمُحَلَّلٍ ... وليس الذى حَرَّمْتِه بِحَرَام

وقد ذكر الإمام السيوطى -رحمه الله- أن الإرصاد قسمان:

أحدهما: ما كانت دلالته لفظية مثل الأمثلة التى تقدم ذكرها.

---

(١) والتسهيم من سهمت الشىء أى صوبته كأنه صوب الكلام الأول لقصد الدلالة على الآخر.

ثانيهما: ما كانت دلالته معنوية ومثله بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]، فإن الاصطفاء يدل على أن الفاصلة ﴿الْعَالَمِينَ﴾ لا باللفظ، لأن لفظ العالمين غير لفظ اصطفى، ولكن بالمعنى، لأنه يعلم من جهته أنه من لوازم اصطفاء شيء أن يكون مختارا على جنسه وجنس هؤلاء المصطفين العالمون[١].

وقد رووا أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

رووا أنه لما بلغت قراءة النبى ﷺ ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ قال عبد الله ابن أبى سرح فتبارك الله أحسن الخالقين، فقال النبى ﷺ -كذلك أنزلت، فكان ذلك سبب ردة المذكور[٢] وفى رواية أن قائل ذلك هو عمر بن الخطاب، وهى معدودة من موافقاته[٣] ومما يدل على منزلة الإرصاد قول ابن نباته الخطيب:

خذها إذا أنشدت فى القوم من طَرَب صُدُورُها عُرِفَتْ منها قوافيها

يفتخر بأن شعره تعرف قوافيه من إنشاد بداياته، وأعجازه من صدوره.

***

(١) شرح عقود الجمان ص١١٠.

(٢) عروس الأفراح لبهاء الدين السبكى ٤/٣٠٨ شروح التلخيص.

(٣) شرح عقود الجمان ص١١٠.

المشاكلة

وهى فى اصطلاح البلاغيين ذكر الشىء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقا أو تقديرا.

فالأول كما فى قول عمرو بن كلثوم:

ألا لاَ يَجْهَلَنْ أحدٌ علينا ... فنجهلَ فوقَ جَهْلِ الجاهلينا

فقد أراد بقوله (فنجهل) فنجازيه على جهله، فوضع (فنجهل) مكان فنجازيه لأجل المشاكلة.

ومثله قول أبى الرقعمق (أحمد بن محمد الأنطاكى)

قالوا اقترحْ شيئا نجد لك طَبْخَهُ ... قلتُ اطبخوا لى جُبَّةً وقميصا

فقد جعل قوله (اطبخوا) مكان خيطوا، فعبر عن خياطة الجبة والقميص بلفظ الطبخ لوقوعها فى صحبة طبخ الطعام.

وقد روى عن أبى الرقعمق أنه قال فى سبب هذا البيت: كان لى إخوان أربعة، وكنت أنادمهم أيام الأستاذ كافور الإخشيدى فجاءنى رسولهم فى يوم بارد وليست لى كسوة تحصننى من البرد، فقال إخوانك يقرأون عليك السلام ويقولون لك قد اصطبحنا اليوم، وذبحنا شاة سمينة فاشته علينا ما نطبخ لك منها، قال فكتب إليهم:

إخوانُنا قَصَدُوا الصَّبُوح بِسُحْرَةَ ... فأتىَ رَسُولُهُم إلى خُصوصا

قالوا اقترحْ شيئا نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ ... قلتُ اطْبُخُوا لى جُبَّةً وقميصا

قال فذهب الرسول بالرقعة فما شعرت حتى عاد ومعه أربع خلع، وأربع صرر فى كل صرة عشرة دنانير فلبست إحدى الخلع وصرت إليهم[٢].

---

(١) اقترحت شيئا أى سألته بلا تفكر، وهذا إنما يكون بين الأصدقاء. (الأطول).

(٢) معاهد التنصيص ٢/ ٢٥٢.

ومن المشاكلة قول أبى تمام:

مَنْ مُبلغٌ أفْنَاءَ يَعْرُبَ كُلَّها ... أنّى بَنَيْتُ الجارَ قبلَ المنزلِ

فإنه من المعلوم أن الجار لا يبنى، وإنما ينتقى، ويختار، على حد قول بعضهم: الجار قبل الدار.

وقد عبر الشاعر عن ذلك الاختيار والانتقاء بلفظ البناء لوقوعه فى صحبة بناء المنزل.

وغير خاف أن كلمة بناء وإن كانت غير موجودة قبل لفظة المنزل إلا أنها مقدرة، ومعتبرة، والمقدر كالموجود.

ومن ذلك قول ابن جابر الأندلسى:

قالوا اتّخذْ دُهنًا لقلبك يَشْفِه ... قلتُ ادْهِنُوهُ بِخَدّها الْمُتَوَرِّدِ

فقد وضع قوله (ادهنوه) موضع متعوه؛ لأجل المشاكلة[1].

ومن الشواهد التى ساقها الخطيب القزوينى للمشاكلة قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

حيث أطلق لفظ ﴿سَيِّئَةٍ﴾ الثانى على جزاء السيئة؛ لوقوعه فى صحبة لفظ ﴿سَيِّئَةٍ﴾ الأول فى الآية[2].

وقد ذكر الآية نفسها ضمن شواهد (علاقة السببية) فى المجاز المرسل[3] وفى هذا دليل على أن بعض أمثلة المشاكلة يمكن أن يعتبر مجازا مرسلا، باعتبار النظرة إليه.

كما أن بعض أمثلتها يمكن أن يعد من الاستعارة أيضا كما فى قول الشاعر الآنف الذكر (... اطبخوا لى جبة وقميصا).

---

(١) ينظر معاهد التنصيص ٢/٢٥٢.

والبلاغة التطبيقية للدكتور أحمد موسى ص ٢٨٣.

(٢) الإيضاح ص ١٩٩ ط محمد على صبيح ١٩٨٢م.

(٣) نفسه ص ١٥٦.

فقد شبه الخياطة بالطبخ فى كونه مرغوبا لهم، وأثيرا لـديهم، ومحلا لعنايتهم وفى هذا إبراز لدور المشـاكلة فى أداء المعنى، وفـيه أيـضا رد على من يقـولون إن المشاكلة حقيقة بأن تدرج فى سلك المحسنات اللفظية.

يقول صاحب الأطول ـ رحمه الله ـ

«عبر عن الخـياطة بالطبخ تشبيـها له فى كونه مما ينبغى أن يكـون مرغوبا لهم؛ لأنهم كما[1] قالوا نجـد لك طبخه، علم أنهم رغـبوا فى الطبخ له، فرغـبهم فى الخيـاطة بتصـويره بصورة الطبخ، ومن هذا ظهـر أيضا تأثير المشـاكلة فى المعنى، واضمحل ما يوسوس فى صدور القاصـرين أنه لا يتجاوز تحسين المشاكلة الألفاظ، فحقه أن يعد فى المحسنات اللفظية»[2].

والثاني: أي الوقوع فى الصـحبة تقديـرا ـ مـثل قـوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧) صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦-١٣٨].

فقوله تعالى ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ...﴾[3] مصدر مؤكد منتصب عن قوله ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ والمعنى تطهـير الله؛ لأن الإيمان يطهـر النفوس، والأصل فـيه أن النصـارى كانوا يغمـسون أولادهم فى ماء أصفـر يسمونه المعمـودية ويقولون هو تطهير لهـم فأمر المسلمون بأن يـقولوا لهم ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ وصبـغنا الله بالإيمان صبغـة لا مثل صبغتنا، وطهـرنا به تطيهرا لا مثل تطهيرنا، أو يقـول المسلمون صبغنا الله بالإيمان صبغة ولم يصبغ صبغتكم، وجيء بلفظ الـصبغة للمشاكلة، وإن لم يكن قد تقدم

(١) لعلها (لما).
(٢) الأطول -للعصام ٢/ ١٩١.
وينظر الصبغ البديعى/ ٤٧٤ د. أحمد موسى.
(٣) وهى فعلة من صبغ كالجلسة من جلس.

لفظ الصبغ؛ لأن قـرينة الحال التى هى سبب النزول من غـمس النصارى أولادهم فى الماء الأصفر دلت على ذلك كـما تقول لمن يغرس الأشجار اغـرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام»[1].

فلفظ ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ قد وضع موضـع تطهير الله؛ لوقوعـه فى صحبة صـبغة النصارى تقديرا لا تحقيقا، لأن لفظ الصبغ ليس مذكورا فى كلام النصارى ولا فى كـلام الله، لكن غمس النصـارى لأولادهم فى الماء الأصـفر يسـتأهل أن يسـمى صبغـا، وإن لم يفوهوا به عند الغمس، بدلالة السيـاق، وسبب النزول، من أجل ذلك اعتبر لفظ الصبغ كـأنه مذكور، فذكر لفظ ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ بلفظه، لوقوعه فى صحبته تقديرا.

***

(١) الإيضاح ص ١٩٩.
والكشاف ١/٩٧، ٩٨.

• الاستطراد

هو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به لم يقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثانى ثم الرجوع إلى المعنى الأول[1].

كما فى قول السموءل بن عاديا:

وإنا لقومٌ ما نرى القتلَ سُبَّةً إذا ما رأته عامرٌ وسلولُ
يقربُ حبُ الموتِ آجالَنَا لنا وتَكْرَهُهُ آجالهُمُ فتطولُ

فإنه يمدح قبيلته، ويفتخر بها، وقد استطرد من ذلك إلى ذم قبيلتى عامر وسلول، ثم عاد إلى المعنى الأول معددا مآثر قبيلته، مزهوا بشيمها وسجاياها. وهذا الشاهد فى قصيدته الذائعة الصيت التى مطلعها:

إذا المرءُ لم يدنسْ من اللُّؤْم عرضُه فكل رداء يرتديه جميلُ
وإن هو لم يحملْ على النفس ضَيْمَهَا فليس إلى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلُ[2]

ومن الاستطراد أيضا قول الآخر:

إذا ما اتَّقَى اللهَ الفتَى وأطاعه فليس به بأسٌ وإن كان من جَرْمِ

فقد استطرد هذا الشاعر من الوعظ إلى ذم قبيلة (جرم).

ومنه كذلك قول بكر بن النطاح يمدح مالك بن طوق:

فأقسمُ لو أصبحتُ فى عزِّ مالكٍ وقدرته أعيى بما رمت مطلبى
فَتًى شَقِيَتْ أمواله بِنَوَالِه كما شَقِيَتْ بكرٌ بأرماح تَغْلِبِ[3]

فقد استطرد من الثناء على الممدوح بالكرم، وقبيلته بالشجاعة، إلى هجاء أعدائهم بالضعف والخور[4].

---

(١) شرح عقود الجمان ص ١٣٥.
(٢) جواهر الأدب ص٥٥٠.
(٣) انظر العمدة ٢/ ٤٠.
(٤) انظر التحرير والتحبير ص ١٣١.

وعليه ـ كما يقول الخطيب القزوينى ـ قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦].

قال الزمخشرى هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر السوآت وخصف الورق عليها إظهارا للمنة فيما خلق الله من اللباس، ولما فى العرى وكشف العورة من الفضيحة، وإشعارا بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى(١).

وقد يكون المعنى الثانى هو المقصود، فيذكر الأول قبله ليتوصل به إليه كما فى قول أبى إسحاق الصابى:

إن كنتُ خنتُك فى المودة ساعةً ... فذممت سيفَ الدولة المحمودا
وزعمتُ أن له شريكا فى العلا ... وجَحَدتُه فى فَضْله التوحيدا
فسما لو أنى حالفٌ بغَمُوسِها ... لِغَرِيم دَيْنٍ ما أراد مزيدا(٢)

فقد ذكر الخيانة فى المودة ليتوصل منه إلى مدح سيف الدولة، ويسمى هذا إيهام الاستطراد.

***

(١) الإيضاح ص ٢٥ (البغية).
وينظر الكشاف ٢/٥٩.
(٢) وجحدته فى فضله التوحيدا أى توحيد الناس له بالفضل، الغموس -اليمين الكاذبة أقسم له على عدم خيانته بيمين لو حلف بها لصاحب دين على براءة ذمته، لاكتفى بها؛ لأن عظم شأنها وإثمها يقوم عنده مقام دينه.
بغية الإيضاح ص ٢٦، ٢٧.

المزاوجة

وهى فى اللغة مصدر الفعل زاوج ويقال زاوج بين الشيئين أى قرن بينهما.

وفى الاصطلاح أن يجمع بين الشرط، والجزاء فى ترتب لازم من اللوازم عليهما معا، أى يقرن بين معنيين أحدهما وقع فى الشرط، والآخر فى الجزاء فى ترتب لازم من اللوازم عليهما، كقول البحترى:

إذا ما نَهَى الناهى فَلَجَّ بِى الهَوَى ... أصاخَتْ إلى الواشى فَلَجَّ بها الهَجْرُ

ويوم تَثَنَّتْ للوداعِ وسَلَّمتْ ... بعينين موصولٍ بلحْظِهما السِّحْرُ

توهمتُها أَلْوَى بأجفانها الكرى ... كَرَى النّوم أو مالَتْ بأعْطافِها الخَمرُ[1]

فقد زاوج -الشاعر فى البيت الأول- بين نهى الناهى الواقع فى الشرط، وإصاختها إلى الواشى الواقع فى الجزاء، فى ترتب لازم عليهما، هو لجاج شىء، وإن كان فى الشرط، لجاج الهوى، وفى الجزاء، لجاج الهجر، ومعنى لجاجه أى لزومه، واستمراره.

وفى ترتب لجاج الهوى، واستمراره على نهى الناهى مبالغة فى حبه لها، وهيامه بها، لأنه يشعر أن ذكرها على أى وجه يزيد حبها، ويثيره فى نفسه على حد قول القائل:

أجِدُ المَلامَةَ فى هواك لذيذةً ... حبّاً لذكرِكَ فليَلُمْنِى اللُّوَّمُ

وفى ترتب لزوم صدها عنه، وهجرانها له؛ لمجرد وشى الواشى مبالغة فى ضعف حبها له؛ لأنها هجرته لمجرد وشاية نمام، فكيف يكون حالها لو سمعت، أو رأت فيه عيبا؟[2].

ومثله قول الشاعر:

---

(١) الموازنة، للآمدى ٢/٣٦ ط دار المعارف الرابعة.

(٢) شروح التلخيص ٤/٣١٧.

إذا مـا بَدَتْ فـازداد منهـا جـمـالُهـا نظرتُ لهـا فـازداد منـى غـرامُـهـا

فقـد زاوج بين بدوها له، وظهورها أمام ناظريه الواقع فى الشـرط، ونظره لها الواقع فى الجـزاء فى ترتب لازم عليهـما، هو ازدياد شيء، وإن كـان فى الشرط (جمالها) وفى الجزاء (غرامها).

وإذا استأنسنا بما قـيل فى البيت المتقدم، وحـذونا حذوه، لقلنا دون ما تردد إن في ترتب ازدياد جـمالها على بـدوها، وظهورها، ما يشـعر بأن جـمالهـا معطاء متجدد على حد قول القائل:

يَـزِيدُكَ وَجْــهُــه حُــسْنا إذا مــا زدتـهَ نَـظَـرا

وفى ترتب ازدياد غرامها على نظره إليهـا ما ينبئ أن الغرام لـم يتوقف عند حد معين، وأمد مـحدود، بل هو فى ازدياد دائم، وتجـدد مـستـمـر، عـلى حـد قول ابن الرومى فى وَحِيد المغنّية:

حُـسْنُهـا فى العيـون حُسْنٌ جـديدُ فلـهـا فى القـلوب حبٌّ جـديدُ

ليـتَ شِـعـرى إذا أدام إليـهـا كـرةً الطرف مـبـدئٌ ومـعـيـدُ

أهـى شىءٌ لا تـسـأم العينُ منه أم لهـا كلَّ سـاعـةٍ تجـديدُ

ومن المزاوجة أيضًا: ما جاء فى البيت الثالث من قول البحترى:

وفـرسـان هيجـاء تَجـيشُ صُـدورُها بأحْـقـادها حـتى تضـيـقَ دُرُوعُـهـا

تُقَـتِّـلُ من وِتْرٍ أعـزَّ نفـوسـهـا عليـهـا بأيد مـا تـكادُ تُطيـعُـهـا[1]

إذا احْـتَرَبَتْ يومـا فـفاضتْ دمـاؤُها تذكـرت القُرْبَـى ففـاضَتْ دُمـوعُهـا

شَـواجِـرُ أَرْمَـاح تقطّع بينهـا شـواجـرَ أرحـامٍ مَلـوم قَطُوعُـهـا[2]

فقد زاوج الشاعر بين الاحتـراب أى المحاربة بين أناس تجمع بينهم رحم ماسة، وقربى قريبة، دب الحقد والبـغضاء بينهم ـ زاوج بين الاحتراب الواقع فى الشرط

---

(١) الوتر ـ الثأر.

(٢) يريد أن الرماح المشتجرة المتداخلة من الطرفين تقطع القرابة، والأرحام التى تربط بينهما.

وتذكر القـربى الواقع فى الجزاء، فى ترتب لازم عليهـما، هو فيـضان شىء، وإن كان فى الشرط فيضان الدماء، وفى الجزاء فيضان الدموع.

هذا هو مفهـوم المزاوجة، ولا ينبغى أن يتبادر إلى الـذهن أن معناها الجمع بين معنيين فى الشـرط، ومعنيين فى الجزاء، كـما جُمع فى الـشرط بين نَهْى النّاهى، ولجَاج الهَـوى، وفى الجزاء بين إصاختـها إلى الواشى، ولجاج الهـجر؛ لأن ذلك الفهم الذى قد يَسْبق إلى الوهم فاسد، ولا قائل به[١].

وأسلوب المزاوجة من الأسـاليب الرفيعة القدر التى لا يرقـى إليها إلا من أوتى حظّاً وافراً من سحر البـيان، وفن القول، وقد عدّه (الشيخ عبـد القاهر الجرجانى) من النظم الذى يدق فيه الصنع، ويـغمض فيه المسلك، وتتحد فـيه أجزاء الكلام، ويدخل بعـضـهـا فى بعض ثم قـال: «... وليس لـما شأنـه أن يجىء على هذا الوصف حَدّ يَحْصُره، وقانونٌ يحيط به»[٢].

***

(١) المطول ص٤٢٤.

(٢) دلائل الإعجاز ص٩٣.

العكس والتبديل

هو أن يقدم فى الكلام جزء ثم يؤخر على ما قدم عليه، ويأتى على وجوه:

منها: أن يقع بين أحد طرفى جملة وما أضيف إليه كقول بعضهم عادات السادات سادات العادات، أى أن عاداتهم أفضل العادات، وأعلاها شأنًا.

فالعكس قد وقع بين (العادات) وهو أحد طرفى جملة، وبين (السادات) وهو الذى أضيف إليه العادات.

فقد قدم (العادات) على السادات، ثم عكس فقدم السادات على العادات.

ومنها: أن يقع بين متعلقى فعلين فى جملتين، مثل قوله تعالى ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [يونس: ٣١].

فقد وقع العكس بين الحى والميت، بأن قدم الحى وأخر الميت فى الأول، ثم عكس فقدم الميت وأخر الحى وهما متعلقان بفعلين فى جملتين.

ومنه قول الشاعر فى رثاء يزيد بن معاوية:

رَمَى الحدثان نِسْوَةَ آل حَرْبٍ ... بمقدار سَمَدْنَ له سُمُودا[1]

فرد شُعورَهُنَّ السودَ بيضا ... وردَّ وُجُوهَهُن البيضَ سُودا

فالعكس بين البيض والسود، وهما متعلقان بفعلين فى جملتين على نحو ما فى الآية المتقدمة.

ومنها: أن يقع بين لفظين فى طرفى جملتين كقوله تعالى ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧] فقد وقع العكس بين هن، ولكم أى الضمير العائد إلى الغائبات، والضمير العائد إلى المخاطبين ولا يخفى عليك بيانه.

ومثل قوله تعالى: ﴿لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠].

---

(١) المقدار ــ القدر. سمدن ــ ذهلن.

العكس بين هن، وهم. وهما واقعان فى طرفى جملتين.

ومنه قول المتنبى:

فلا مَجْدَ فى الدنيا لمن قلَّ مالُه ولا مالَ فى الدنيا لمن قلَّ مَجْدُه

العكس فيه بين مجد ومال، وهما فى طرفي جملتين.

وقول بعضهم:

إن الليالىَ للأنامِ مناهلٌ تُطوَى وتُنْشَر دُونَها الأعمارُ

فَقِصَارُهُن مع الهُمومِ طويلةٌ وطِوالُهُن مع السرور قِصَارُ[1]

قال السعد:

ومنها: أن يقع بين طرفى الجملة كما قلت:

طويتُ بإحرازِ الفُنون ونَيْلها رِداءَ شبابى والجنونُ فنونُ

فحينَ تعاطيتُ الفنونَ وحظَّها تبينَ لى أن الفنونَ جُنُونُ[2]

العكس -كما هو واضح- بين الفنون والجنون وهما فى طرفى جملة واحدة.

***

(١) تطوى وتنشر أى تقصر وتطول على سبيل الاستعارة.

(٢) المطول ص ٤٢٤.

الرجوع

هو العود على الكلام السابق بالنقض، لنكتة، كقول زهير بن أبى سلمى يمدح هرم بن سنان:

قف بالديار التى لم يعفها القِدَمُ بَلَى وغَيّرهَا الأرواحُ والدِّيَمُ[1]

فإن الشاعر لما وقف على الديار، أصابته كآبة جعلته مذهولا، فأخبر بما لا وجود له، فقال: لم يعفها القدم، ثم ثاب إليه عقله، وأفاق من ذهوله، فاستدرك ما قال، ونقض كلامه السابق بقوله:

بلى وغيرها الأرواح والديم، أى عفاها القدم، وغيرها الرياح والأمطار، والنكتة إظهار الكآبة، والحزن، وإبداء الحيرة، والدهشة.

ومنه قول الآخر:

أليس قليلا نظرةٌ إن نَظَرْتُها إليك وَكَلاً ليس منكَ قليلُ

فقد استقل النظرة إلى من يحب فى صدر البيت، ثم رجع عن ذلك فى عجزه، وعدها غير قليلة على حد قول بعضهم:

إن ما قلَّ منك يكثُرُ عندى وكثيرٌ ممن تحب القليلُ

والنكتة فى البيت إظهار التدله والتحير[2].

ومنه قول القائل

(فأفٍّ لهذا الدهر لابَلْ لأهله)[3]

فقد تضجر من الدهر، ثم رجع عن ذلك، وجعل التضجر من أهل ذلك الدهر، فهم الأحقاء بالتضجر منهم، والتبرم بهم، والنكتة فيه إظهار التحير.

---

(١) الأرواح جمع ريح ردت الواو فى الجمع. والديم جمع ديمة وهى المطر الدائم.

(٢) يقال دلهه الحب والعشق حيره وأدهشه فهو مدله. انظر المعجم الوجيز (دله).

(٣) أف اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر.

التورية

التورية معناها فى اللغة الستر والإخـفاء، وهى مصدر الفعل ورى، يقال وريت الخـبر تورية إذا سـترته وأظهـرت غيـره، وفى الحديث أن النبى ﷺ كـان إذا أراد سفرًا، ورى بغيره أى ستره وكنى عنه، وأوهم أنه يريد غيره، وأصله من الوراء أى ألقى البـيان وراء ظهـره، وفى التنزيل ﴿مَا وُورِيَ عَنْهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٠] أى ستر(١).

وفى الاصطلاح أن يطلق لفظ له معنيان أحدهما قريب، والآخر بعيد، ويراد به البعيـد، وتسمى الإيهام أيضًا، لأن المتكلم يوهم السـامع أنه يريد المعنى القريب، وهو إنما يريد البعيد بقرينة تومئ إليه، وتخفيه عن غير المتنبه الفطن.

وفى الذروة من شواهدها ما روى أن أبا بكـر الصديق ـ رضى الله عنه ـ سئل عن النبى ـ ﷺ وهما مـهاجران إلى المدينة فقـال: هاد يهدينى السبـيل، فالمعنى القـريب المتـبـادر من كلمـة (هاد) أنه دليل يرشـده فى السـفـر، ويبين له الطرق المسلوكة، والمعنى البعيد أنه هاد يهـديه إلى الإسلام، ويأخذ بيده إلى طريق النجاة فى الدنيا والآخرة.

ومن شواهدها الشعرية المشتهرة قول سراج الدين الوراق:

أصـــونُ أديمَ وَجْــــهِيَ عَـنْ أُناسٍ ... لـقـــــاءُ الموتِ عـنـدهمُ الأديـبُ
وربُّ الشِـــعْـــرِ عندهـم بغـــيضٌ ... ولـو وافى بـه لهـم حَـــبـــيـــبُ

فإن كلمة (حبيب) فى عجز البيت الثـانى لها معنيان، قريب يتبادر إلى الذهن، وهو المحبوب، وبعيد وهو الشاعر أبو تمام واسمه حبيب بن أوس، وهو الذى أراده الشاعر، وقد ورى عنه، وستره بالمعنى القريب.

---

(١) انظر لسان العرب (ورى).

●أقسام التورية:

قسمت التورية باعتبار ذكر ملائم الطرفين المورى به أى المعنى القريب، والمورى عنه، وهو المعنى البعيد إلى الأقسام الآتية:

أولا: مجردة:

وهى التى لم يقترن بها شىء يلائم المعنى القريب ـ المورى به ـ أو شىء يلائم المعنى البعيد ـ المورى عنه ـ كقوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فإن الاستواء له معنيان: الاستقرار فى المكان، وهو المعنى القريب المورى به، وهو غير مقصود؛ لأن الله منزه عنه، والمعنى الثانى هو الاستيلاء والملك، وهو المعنى البعيد المورى عنه، وهو المقصود.

وقد قيل إن هذه التورية مرشحة، لأن قوله (على العرش) يلائم المعنى القريب.

ومن المجردة أيضا ما روى من أن رسول الله ـ ﷺ ـ لما خرج مع أصحابه إلى بدر سألهم سائل من أى قبيلة أنتم؟ فقال له رسول الله -ﷺ- على سبيل الإيهام من ماء، فكلمة ماء لها معنيان اسم قبيلة، وهو المعنى القريب الذى يوائم السؤال، والمعنى الآخر البعيد هو الماء الذى خلق منه الإنسان، وهو المقصود، وبهذه التورية اللطيفة ذر أفصح العرب ـ ﷺ ـ الرماد فى عين هذا السائل، وأخفى عنه أمرهم، وكفاهم شره، فربما كان عينا من عيون المشركين التى بثوها لرصد المسلمين، والتعرف على أحوالهم.

ويلحق بالمجردة ما ذكر فيها ملائم المعنى القريب، وما يلائم المعنى البعيد معًا، ولم يترجح أحدهما على الآخر، فكأنهما لم يذكرا؛ لأنهما تعارضا فتساقطا -كما يقولون- وذلك كما فى قول الشاعر:

ومُولَعٍ بِفِخَاخٍ ... يَمُدُّهَا وشِبَاكِ
قالت لى العينُ ماذا ... يَصِيدُ قلتُ كَرَاكِى

فالتـورية فى (كراكى) ومـعناه القريب جـمع كركى،وهو طائر رمـادى اللون، يأوى إلى الماء، ومعناه البعيد النوم، وهو المراد، وقول الشاعر (يصيد) يلائم المعنى القريب،وهو الطائر، وكلمة العين تلائم البعيد، وهو النوم.

وقد سمى الإمـام السيوطى ـ رحمـه الله ـ هذه التورية التى ذكر لهـا موائمان مقترنة ومثل لها بقول البحترى:

وَوَرَاء تَسْـــدِيَةِ الوِشَـــاحِ مَـلِيَّـــةٌ   بالحسن تَمْلُحُ فـى القلوبِ وتَعْـذُبُ

فإن فى (تملح) تورية، مـعناها القريب من الملوحة، ويلائمهـا (تعذب) ومعناها البعيد الملاحة، ويلائمها ملية بالحسن[1].

ثانيًا: مرشحة:

وهى التى قرنت بما يلائم المورى به أي المعنى القريـب كقوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧] أى بقوى، فإن قوله (بأيد) فيه تورية معناها القريب جمع (يد) والمعنى البعيد القـوى، وقوله (بنيناها) يناسب المعنى القريب، وقد ذكر هذا الملائم قبل التورية،ومثلها فى ذكر الموائم قبلها ما جاء فى قول الشاعر:

فلمــا نأتْ عنـا العـشـيــرةُ كُلُّهــا   أَنَخْنَا فَـحَالَفْنـا السيـوفَ على الدَّهرْ

فــمـا أسـلمْــتنَا عِنْدَ يَومْ كَــرِيَهــة   ولا نَحْنُ أَغْضَيْنَاَ الجُفونَ على وِتر[2]

فالجفون لها معنيان أحدهما قريب،وهو جفون العين، والثانى بعيد، وهو غمد السيف، وهو المراد، أى أنهم لم يغمدوا سيـوفهم حتى يأخذوا بثأرهم، والوتر هو الثـأر وقـد قرنـت هذه التـورية بما يناسب المعنى القـريب، وهو (أغـضـينا) لأن الإغضاء، يلائم جفن العين، لا السيف، وقد ذكر هذا الإغضاء قبل (الجفون).

ومن هذا النوع أيضًا قول الشاعر:

أَقـولُ وقـد شنُّـوا إلى الحـرب غـارةً   دعـونى فَـإِنِّى آكُلُ العـيشَ بالْـجُبْن

---

(١) شرح عقود الجمان ص١١٣ وتسدية الوشاح ـ نسجه، أو ما تدلى منه.

(٢) أنخنا كناية عن إقامتهم بدارهم واكتفائهم بأنفسهم، والكريهة الحرب.

ففي كلمة (الجبن) تورية، لأن لها معنيين قريب، وهو الجبن الذي يؤكل، وبعيد، وهو الجبن الذي يقابل الشجاعة، وهو المراد وقد قرنت تلك التورية بما يناسب المعنى القريب، وهو (آكل) فهي مرشحة بملائم مذكور قبلها.

وقد تكون مرشحة بلفظ بعدها كما في قول القاضي عياض في صيفية بادرة:

كأن كانونَ أهدَى من ملابسه ... لشهرِ تَمُّوزَ أنواعًا من الحُلَلِ
أو الغزالةَ من طُولِ المدَى خَرِفَتْ ... فما تُفرِّقُ بين الجَدْيِ والحَمَلِ[1]

كانون من أشهر السنة الشمسية يقع في فصل الشتاء، وتموز من أشهر الصيف، والجدي برج البرد، والحمل برج الدفء، والتورية في (الغزالة) فإن معناها القريب الظبية، ومعناها البعيد الشمس، وهو المراد، وقد قرنت هذه التورية بما يلائم المعنى القريب، وهو الظبية، قرنت بلفظ (خرفت) أي قل عقلها، وهو مذكور بعدها.

وفحوى البيتين أن برد الشتاء قد انتقل إلى الصيف، وشمس الشتاء قد قل عقلها، فهجرت زمن الشتاء، وألقت رحلها بالصيف فصار الجو فيه باردًا.

ومن الترشيح بلفظ مذكور بعد التورية قول الشاعر:

أقلعتُ عن رَشْفِ الطِّلَى ... واللَّثْمِ في ثَغْرِ الحَبَبِ[2]
وقلتُ هذه راحةٌ ... تَسُوقُ للقلب التَّعَب

فالتورية في كلمة (راحة) فلها معنيان: قريب، وهو ضد التعب، وبعيد، وهو الخمر، والمراد البعيد، وقد قرنت هذه التورية بلفظ (التعب) ترشيحًا لها.

وسميت هذه التورية مرشحة؛ لأن ذكر ملائم المعنى القريب- المورى به- يضفي عليه نوعًا من الظهور، والوضوح، يبعد الذهن عن المعنى المراد، فيقوى خفاء التورية، ويزداد بعدها[3].

---

(١) في كل من الجدي، والحمل تورية أيضًا فالجدي معناه القريب ولد العنز، والبعيد البرج وهو المراد، والحمل معناه القريب ولد الضأن، والبعيد البرج، وهو المراد.

(٢) الطلى - الخمر.

(٣) انظر مواهب الفتاح ٤/ ٣٢٤ شروح التلخيص.

ثالثًا: مبينة:

وهى التى قرنت بما يلائم المعنى البعيد المراد؛ وسميت مبينة؛ لأنها تبين المعنى البعيد ـ المورى عنه ـ بذكر لازمه بعد أن كان خفيًا، وهذا اللازم قد يكون قبل التورية، أو بعدها.

فالأول: كما فى قول الحموى:

قالوا أمَا فى جِلَّقَ نُزْهَةٌ ... تُنسيك من أنت به مُغْرَى

يا عاذلى دُونَكَ من لحْظِهِ ... سَهْمًا ومِنْ عَارِضِهِ سَطْرا

فجلق هى مدينة دمشق، والسهم، والسطر موضعان من متنزهاتها، وهذا هو المعنى البعيد، ومعناهما القريب سهم النظر، وسطر العارض، وهو جانب الخد، ومعنى مغرى به، مشغوف به، وذكر النزهة بجلق قبلهما مبين لهما.

والثانى: كقول ابن سناء الملك:

أمَا واللهِ لولا خوفُ سُخْطِك ... لَهَانَ علىَّ ما ألقَى بِرَهْطِك

ملكتُ الخافِقَين فتِهتُ عُجبا ... وليس هما سوَى قلبى وقُرْطِك

ففى لفظ (الخافقين) تورية، والمعنى القريب هو المشرق والمغرب، والبعيد هوالقلب، والقرط، لأنهما يتحركان، ويضطربان[1].

وهذا المعنى البعيد هو المراد، وقد ذكر القلب، والقرط فى الشطر الثانى بعد الخافقين، فأبانا عنهما، فالتورية مبينة[2].

رابعًا: مهيأة:

وهى مالا تقع فيه التورية، ولا تتهيأ إلا بلفظ قبلها، أو بعدها، أو تكون التورية فى لفظين لولا كل منهما، لما وجدت التورية، فالمهيأة بلفظ سابق مثل قول ابن سناء الملك:

وسَيْرك فينا سِيرةً عُمَرِيَّةً ... فَرَوَّحْتَ عن قَلْبٍ وفَرَّجْتَ عن كَرْبِ

---

(١) المعجم الوجيز (خفق).

(٢) شرح عقود الجمان ص ١١٤.

وأظهـرتَ فـينا مـن سِـمَـاتِك سُنَّةً ... فأظهرتَ ذاكَ الفرضَ من ذلك النَّدْبِ

فالفرض، والندب معناهما القريب الحكمان الشرعيان، والبعيد الفرض بمعنى العطاء، والندب الرجل السريع فى قضاء الحوائج، ولولا ذكر السنة، لما تهيأت التورية، ولا فهم الحكمان[1].

والمهيأة بلفظ لاحق كقول ابن الربيع.

لولا التَّطَيُّرُ بالخِـلاف وأنـهم ... قـالوا مـريضٌ لا يعـود مـريضـا

لقضيْتُ نَحْبِى فى فِنَائِكَ خِدمَةً ... لأكونَ مندوبا قَضَى مفـروضـا

فالمعنى القريب لقوله (مندوبا) الحكم الشرعى، والبعيد هو الميت المرثى، وهو المراد، وقد تهيأت تلك التورية بقوله (مفروضًا) وهو لفظ لاحق، ولولاه لما وجدت.

المهيأة بلفظين لو لا كل منهما لم تتهيأ:

كقول عمر بن أبى ربيعة:

أيهـا الـمُنكِحُ الـثـريا سُـهَـيْـلا ... عَـمْـرَكَ اللهَ كـيف يـلتـقيـان[2]

هى شـامـيـةٌ إذا مـا اسـتـقلت ... وسُـهَـيْلٌ إذا اسـتـقل يَمَـانى

فالمعنى القريب (للثريا وسهيل) هو النجمان، والبعيد هو الزوجان الثريا محبوبته، وسهيل زوجها، وكان أبوها قد زوجها به، وكان فى غاية الدمامة، وهى فى غاية الجمال. فكل من الثريا، وسهيل هيأ صاحبه للتورية، فلفظ الثريا قوى إيهام القصد بسهيل إلى الكوكب المعروف، ولفظ سهيل قوى إيهام القصد بالثريا إلى المنزلة المعروفة[3].

---

(١) شرح عقود الجمان ص ١١٤.

(٢) ذكر صاحب لسان العرب لمعنى (عمرك الله) بنصب اسم الجلالة ـ عدة معان أحدها ـ عبادتك الله. ثانيها ـ بتعميرك الله أى بإقرارك له بالبقاء. ثالثها ـ سألت الله أن يطيل عمرك. انظر لسان العرب (عمر).

(٣) انظر المصباح، لابن مالك ص ١٧٣، ١٧٤ وتحرير والتحبير، لابن أبى الإصبع ص ٢٨٦ وما بعدها.

الاستخدام

هو في اللغة بمعنى القطع، وإنما سمى به هذا الفن من البديع؛ لأن الضمير قطع عما يستحق أن يعود له من المعنى وجعل لغيره[1].

وفى الاصطلاح أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما، ثم يراد بضميره معناه الآخر، أو يراد بأحد ضميريه أحدهما، وبالآخر الآخر.

فالأول: كما فى قول الشاعر:

إذا نزل السماءُ بأرض قومٍ رَعَيْنَاهُ وإن كانوا غِضابا

فقد أراد بالسماء المطر على سبيل المجاز المرسل بعلاقة المجاورة، ثم أعاد الضمير فى رعيناه إلى السماء بمعنى النبات على طريق المجاز المرسل بعلاقة المسببية، والمعنيان مجازيان.

ومثله قول ابن معتوق:

تالله ما ذُكِرَ العَقِيقُ وأهلُه إلا وأجْرَاه الغرامُ بمِحْجَرى[2]

فالعقيق له معنيان أحدهما المكان، والثانى حجر كريم أحمر اللون، وقد ذكر الشاعر العقيق فى الشطر الأول بمعنى المكان، وأعاد الضمير عليه فى (أجراه) بمعنى الحجر؛ لأنه يريد تشبيه دمعه بالحجر فى حمرته، فهو يريد أن يقول إنه يبكى دما إذا تذكر أحبته من أهل العقيق.

ومن ذلك قول الآخر:

أراعى النجمَ فى سيرى إليكم ويَرْعَاهُ من البَيْدَا جَوادى

فقد عنى بلفظ النجم الكوكب؛ لأنه يهتدى به فى الظلمات، ثم أعاد الضمير فى (ويرعاه) إلى النجم بمعنى النبات.

---

(١) شروح التلخيص ٤/٣٢٦.

(٢) محجر العين: ما يبدو من النقاب.

ومثل الضمير فى ذلك اسم الإشارة كما فى قول الشاعر:

رأى العقيقَ فأجرى ذاك ناظره   مُتَيَّمٌ لَجَّ فى الأشواقِ خاطره

فقد أراد الشاعر بالعقيق المكان، ثم أعاد اسم الإشارة عليه بمعنى الدم على سبيل الاستعارة.

ومثل الضمير التمييز كما فى قول الشاعر:

حكى الغزالَ طلعةً ولفتةً   من ذا رآه مُقْبِلا ولا افْتَتَنْ

فقوله (طلعة) يفيد أن المراد بالغزال الشمس، لأن الغزالة من أسماء الشمس، وقوله (لفتة) يفيد أن المراد به الظبى.

والثانى: وهو أن يراد بأحد ضميريه أحد المعنيين، وبالآخر الآخر كما فى قول البحترى:

فسقى الغضا والساكنيه وإن همُ   شَبُّوهُ بين جوانحٍ وقلوب[1]

فلفظ الغضا يحتمل الموضع والشجر، والسقى صالح لهما، فقوله (والساكنيه) يعود ضميره على الغضا بمعنى المكان، لأنه المناسب للسكنى، ويعود الضمير فى (شبوه) إلى الغضا بمعنى الشجر، لأنهم أوقدوا فى قلبه، وبين ضلوعه نارا مثل ناره.

***

(١) الغضا: أرض لبنى كلاب، وواد بنجد، وشجر معروف.
انظر تحرير التحبير ص٣٧٥.

اللف والنشر

اللف فى اللغة مصدر لف الشيء إذا جمعه، والنشر مصدر نشره إذا بسطه، وفى الاصطلاح ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر مالكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده إليه.

أولاً: ما جاء على التفصيل وهو ثلاثة أضرب:

١- أن يكون النشر على ترتيب اللف كما فى قوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ [القصص: ٧٣]، فقوله ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ راجع إلى الليل، وقوله ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ عائد للنهار.

ومن ذلك قول ابن حيوس:

فِعْلُ الْمُدَامِ وَلَوْنُهَا وَمَذَاقُهَا فى مُقْلَتَيْهِ وَوَجْنَتَيْهِ وَرِيقِهِ

فإن قوله (فى مقلتيه) عائد للمدام وهى الخمر، وقوله (وجنتيه) راجع إلى لون الخمر، وهو الحمرة وقوله (وريقه) عائد إلى مذاق الخمر.

وقول ابن الرومى:

آراؤكم ووجُوهكم وسيوفُكم فى الحادثات إذا دَجَوْنَ نجُومُ

فيها معالمُ للهدى ومصابحٌ تجلو الدُّجَى والأُخريات رُجُومُ

فالمعالم جمع معلم وهو ما يستدل به على الطريق، وهو راجع إلى الآراء، والمصابح جمع مصباح وهو عائد للوجوه، والأخريات رجوم عائد إلى السيوف، والرجوم النجوم التى يرمى بها - كما فى لسان العرب - ومن ذلك قول الحريرى[1]:

وكم من قارئٍ فيها وقارِ أضَراً بالجُفُونِ وبِالجِفَانِ

---

(١) مقامات الحريرى المقامة الثامنة والأربعون ٢/ ٢٣٥.

وينظر الطراز، للعولى ٢/٤٠٨، وروضة الفصاحة للثعالبى ص ١٣٩.

فقوله (بالجفون) عائد إلى القــارئ، لأنه أبكى العيون، وأضر بالجفون لما أبكاها بقراءة القرآن. وقــوله (بالجفان) عائد إلى (قار) اسم فــاعل من قرى الضيف، لأنه أضر الجفان بكثــرة استعمالها فى إعداد الطعــام للضيفان والضمير فى قــوله (فيها) راجع إلى مدينة (البصرة).

٢- أن يكون النشر على عكس ترتيب اللف:

كما فى قول ابن حيوس:

كـيف أسْلُو وأنـت حِـقْفٌ وغُـصْنٌ وغَــزَالٌ لَـحْظًا وَقَـداً ورِدْفــا[١]

فاللحظ للغزال، والقد للغصن، والردف للحقف.

وقول الفرزدق:

لقـد خنـتَ قـومـا لوَ لجَـأْتَ إلـيـهم طريدَ دَمٍ أو حــامــلا ثِقْل مَــغْــرمَ

لألفـيتَ فـيـهم مُـعطـيـا أو مُطاعنا وَرَاءَكَ شَـزْرًا بِالوشِـيجِ الـمُـقَـوَّمِ[٢]

فقوله (معطيا) يرجع إلى (حـاملا ثقل مغرم) وقوله (مطاعنا) يرجع إلى (طريد دم).

٣- أن يكون النشر ليس على ترتيب اللف لا طردا، ولا عكسا[٣]:

ويسمى المشــوش وقد مــثل له ابن يعقوب المغــربى بقوله: «هو شــمس وأسد وبحر جودا وبهــاء وشجاعة» ثم قال ولا يخفى اخــتلاطه، لأن الجود وهو الأول من النشر عــائد إلى البحــر وهو الآخر من اللف، والبــهاء وهو الثانــى من النشر عائد لــلأول من اللف وهو الشمس، وشــجاعة وهــو الآخر من النشر عــائد إلى الوسط من اللف[٤].

---

(١) الردف: عجيزة المرأة، وهو راجع إلى تشبيهها بالحقف، وهو مجتمع الرمل إذا عظم

(٢) طريد دم: كناية عن كونه قــاتلا ـ المغرم: الدين ونحوه، والشــزر مصدر بمعنى طعنه عن يمينه وشــماله، الوشيج: شجر الرماح. المقوم: المثقف.

.(٣) شرح عقود الجمان، للسيوطى ص ١١٨.

(٤) مواهب الفتاح ٤/ ٣٣٢ -٣٣٤ شروح التلخيص.

ثانيًا: ما جاء على الإجمال:

وقد مثل له البلاغـيون بقوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ**﴾ [البقرة: ١١١].

فإن الـضميـر فى ﴿**وَقَالُوا**﴾ لأهل الكتـاب من اليهود والنصـارى والمعنى وقـالت اليهـود لن يدخل الجنة إلا من كـان هودا، وقالت النصـارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصـارى، فلف بين القولين ثقة بأن السـامع يرد إلى كل فريق قـوله وأمنا من اللبس، لما علم من الـتعـادى بين الفـريقين وتضليل كل واحـد منهما لصاحبه[١].

***

(١) الإيضاح ص ٣٦ (البغية).

الجمع

هو أن يجمع بين شيئين أو أشيـاء فى حكم كقوله تعالى: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الكهف: ٤٦].

جمع بين المال والبنون فى كونها زينة الحياة الدنيا، ومنه قول أبى العتاهية:

إن الشَّـبَـابَ والفَـراغَ والجِـدَهْ ... مَـفْـسَـدَةَ لـلمـرء أىُّ مَـفْـسَـدَهْ

فقد جمع بين الشباب والفراغ والجـدة بكسر الجيم وهى الاستغناء، وهذا البيت من قصيدة له سماها ذات الأمثال ومنها:

لكـل إنسـان طبـيـعـتـان ... خـيـرٌ وشـرٌّ وهمـا ضـدان

والخـيـرُ والـشـرُّ إذا مـا عُـدا ... بيـنهـمـا بَوْنٌ بـعـيـدٌ جِـدا

إنك لو تـسـتنشق الشـحـيـحـا ... وجـدته أنْـتَنَ شـىءٍ ريحـا

مـا انتـفع المـرءُ بمثل عَـقْـله ... وخـيـرُ ذُخْر المرءِ حُسْنُ فِـعْله[1]

ومن الجمع قول صفى الدين الحلى:

آراؤه وعطـاياه ونـعـمـتـه ... وعـفـوه رحـمـةٌ للناس كـلهم

ومنه قول محمد بن وهيب:

ثلاثةٌ تُشْـرِقُ الدنيـا بِبهْـجَـتِـهَـا ... شَمْسُ الضُّحَى وأبو إسحاقَ والقمرُ

وقول الآخر:

فـأحـوالى وصُـدْغُكَ والـليـالى ... ظَـلامٌ فـى ظـلامٍ فـى ظـلامِ

***

(١) معاهد التنصيص: ٢/ ٢٨٣، ٢٨٤.

التفريق

وهو إيقاع تبـاين بين أمرين من نوع واحد فى المدح أو غـيره؛ ليفـيد زيادة فى المدح أو نحوه كقول رشيد الدين الوطواط:

مـــا نَوَالُ الـغَـــمَـــامِ يَوْمَ رَبِـيعٍ ... كنـوال الأمـــيـــرِ يَوْمَ سَـــخَـــاءِ

فنـوالُ الأمـــيـــرِ بَدْرَةُ عَـــيْنٍ ... ونوالُ الـغَـــمَـــامِ قطـرةُ مـــاءِ

فقد فرق بين نوال الغمام، ونوال الأمير، والنوال العطاء.

وقول الآخر:

من قـاس جــدواك بالغـمـام فــمـا ... أنْـصـَفَ فى الحـكـمِ بـين شَـكْلَـيْـن

أنت إذا جُـــدْتَ ضَـــاحـكٌ أبدا ... وهـو إذا جـــــــاد دامـعُ الـعـينِ

والجدوى العطية، وشكلين مثلين.

ومثله قول بعضهم:

من قـــاس جــــدواك يـومــــا ... بـالسُّـــحْب أخـطأ مــــدحـك

الـســــــحبُ تـعـطى وتَـبْـكِـى ... وأنـت تُـعْـطِـى وتَـضْـــــــحَـك

ومنه قول أبى الفتح البستى:

يا سَـيِّـدَ الأمـــراء يا مَنْ جُـــودُهُ ... أوْفَى علـى الغَـيْـثِ المطيـر إذا هَمَى

الغـيـثُ يُعْطى باكـيـا مُـتَـجَـهِّـمًا ... ونَراك تُعطى نـاضـرا مُـتَـبَـسِّـمـا(١)

***

(١) معاهد التنصيص: ٢/٣٠١.

التقسيم

هو ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين كقول المتلمس:

ولا يُقِيمُ على ضَيْمٍ يُراد به إلا الأذَلاَّن عَيْرُ الحَيِّ والوَتِدُ
هذا على الخَسْفِ مَرْبُوطٌ برُمَّتِه وذا يُشَجُّ فلا يَرْثِى له أحَدُ

العير بفتح العين الحمار، والشج: الكسر والدق.

فقد ذكر متعدد (عير الحى والوتد) ثم أضاف إلى العير الربط وإلى الوتد الشج.

ومنه قول أبى تمام:

فما هو إلا الوحْىُ أو حَدُّ مُرْهَفٍ تَمِيلُ ظُباه أَخْدَعَى كُلِّ مَائِلِ
فهذا دَوَاءُ الدَّاءِ من كُلِّ عَالِمٍ وهذا دواءُ الدَّاءِ من كل جَاهِلِ

والضمير (هو) يعود إلى (حق) فى قوله قبله:

وعادات نصر لم تزل تستعيدها عصابة حق فى عصابة باطل

والمرهف السيف المرقق الحد، والظُّبَى جمع ظُبَة وهى حد السيف، وقال السكاكى: هو أن تذكر شيئا ذا جزأين أو أكثر ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك كقوله:

أديبان فى بَلْخ لا يأكلان إذا صَحِبَا المرءَ غيرَ الكبدْ
فهذا طويلٌ كظلِ القناة وهذا قصير كظل الوَتِدْ

وقد ذكر ابن رشيق أن بعضهم يرى أن التقسيم استقصاء الشاعر جميع أقسام ما ابتدأ به كقول بشار يصف هزيمة.

بضرب يذوق الموتَ من ذَاقَ طَعْمَهُ ويدركُ مَنْ نَجَّى الفِرَارَ مَثَالِبُه
فراحوا فريقٌ فى الإسارِ ومِثْلُه قتيلٌ ومثلٌ لاَذَ بِالْبَحْرِ هاربه

فالبيت الأول قسمان إما موت، وإمـا حياة تورث عارا، ومثلبة، والبيت الثانى ثلاثة أقسام أسير، وقتيل، وهارب، فاستـقصى جميع الأقسام، ولا يوجد فى ذكر الهزيمة زيادة على ما ذكر(١).

ومنه قول عمر بن أبى ربيعة:

وَهَبْهـا كـشيءٍ لم يَكُنْ أو كنازحٍ به الدار أو مـن غَـيَّـبَـتْـهُ المقـابرُ

فلم يبق مما يعبر به عن إنسان مفقود قسما إلا أتى به فى هذا البيت.

ومنه قول بعضهم:

إن يَسْمَعُوا الخيرَ يُخفُوهُ وإن سمعوا شـرا أذاعوا وإن لم يَسْـمَعُوا كَـذَبوا

ومن أشـرفه فى المـنثور قـوله ﷺ: «**وهل لك يا بنَ آدم من مـالك إلا مـا أكلت فأفنيت، أو لَبِسْت فأبليت أو تصدقت فأبقيت**».

ومنه فى النثر أيضا مـا جاء فى قول أعرابى وقف على حلقة الحـسن البصرى: رحم الله من تصدق من فضل، أو آسى من كفاف، أو آثر من قوت، فقال الحسن ما ترك البدوى منكم أحدا إلا وقد سأله(٢).

ومنه ما يحكى أن بعض وفود العرب قدم على عمر بن عبد العزيز فتكلم منهم شـاب، فقـال يا أميـر المؤمنين أصـابتنا سنون: سنة أذابت الشـحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة أكلت العظم، وفى أيديكم فضول مال، فإن كانت لنا فعلام تمنعونها عنا، وإن كانت لله، ففرقوها على عباده، وإن كانت لكم فتصدقوا بها علينا، فإن الله يجزى المتصدقين، فقال عمر ما ترك لنا الأعرابى فى واحدة عذرا(٣).

ومن التقـسيم نوع هو أن تذكر أحـوال الشيء مضافا إلى كل حال مـا يليق بها كقول المتنبى.

سـأطلب حـقى بالقَنَا ومَـشَـايِخٌ كـأنَّهم مـن طُولِ مـا الْتَـثَـموا مُـرْدُ

---

(١) العمدة ٢/ ٢٠-٢١.

(٢) نفسه ٢/ ٢١-٢٤.

(٣) شرح عقود الجمان ص١٢٠.

ثقالٌ إذا لاقوا خفافٌ إذا دعوا كثيرٌ إذا شَدُّوا قليلٌ إذا عُدّوا

يصفهم بأنهم ثقال على الأعداء، تشتد وطأتهم عليهم، إذا التقى منهم الجمعان، وسفرت بينهم السيوف والسهام.

وأنهم خفاف إذا دعوا إلى أمر مهم، أو خطب ملم، وأن الواحد منهم يعدل جماعة من غيرهم إذا حملوا على عدوهم على حد قول ابن دريد فى مقصورته:

والناسُ أَلْفٌ منهم كواحدٍ وواحدٌ كالألفِ إن أمرٌ عَنَى[1]

فالشاعر قد ذكر أحوال المشايخ فى البيت الثانى، وأضاف إلى كل حال ما يليق بها.

ومنه قول الشاعر:

سَفَرْنَ بُدُوراً وانْتَقَبْنَ أهِلَّةً وَمِسْنَ غُصُونا والْتَفَتْنَ جآذِرا

فقد عدد الشاعر بعض أحوالهن مضيفا إلى كل حال ما يلائمها فعندما كشفن وجوههن، ظهرت كالبدور، وحين لبسن النقاب، صرن كالأهلة، لظهور حواجبهن كالأهلة فى التقوس ولما مسن وتبخترن فى مشيهن، بدت قدودهن كالغصون، وعندما تلفتن لاحت عيونهن كعيون الجآذر.

ومثل ذلك قول الشاعر:

بدتْ قمرا ومالتْ خُوطَ بانٍ وفاحتْ عَنْبَراً وَرَنَتْ غَزالا

***

(١) عنى: قصد أو لزم.

الجمع مع التفريق

وهو أن يدخل شيئان في معنى واحد، ويفرق بين جهتي الإدخال كقول رشيد الدين الوطواط:

فوجهُك كالنار في ضَوئها   وقلبي كالنار في حَرِّهَا

فقد جمع بين تشبيه وجه الحبيب، وقلبه، وفرق بين وجهي المشابهة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢].

جمع - سبحانه - بين كون الليل والنهار آيتين، ثم فرق بينهما، ومن ذلك قول البحتري:

ولما التقينا والنَّقَا مَوْعِدٌ لنا   تعجب رائي الدُّرِّ منّا ولاَقِطُهْ

فَمِنْ لُؤْلُؤٍ تَجْلُوه عند ابتسامتها   ومن لُؤْلُؤٍ عند الحديث تُسَاقِطُهُ(١)

فإنه جمع بين رائي اللؤلؤ ولاقطه في التعجب، ثم فرق بين تعجبهما، فهذا يتعجب من أسنانها التي تشبه اللؤلؤ عند ابتسامتها، وذاك يتعجب من حديثها العذب الجميل الذي يشبه اللؤلؤ في نفاسته وعلو قدره.

***

(١) البيتان في شرح عقود الجمان دون شرح ص ١١٩.

الجمع مع التقسيم

وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه أو تقسيمه ثم جمعه فالأول كقول المتنبى:

حتى أقام على أرباض خَرْشَنَة ... تَشْقى بِه الرومُ والصُّلْبَانُ والبِيَعُ
للسَّبْيِ ما نَكَحُوا والقَتْلِ ما وَلَدُوا ... والنَّهْبِ ما جَمَعُوا والنارِ ما زَرَعُوا

الأرباض جمع ربض وهو ما حول المدينة، وخرشنة بلدة من بلاد الروم، والضمير فى (أقام) للممدوح؛ فإنه جمع فى البيت الأول بين الروم والصلبان والبيع فى الشقاء بالممدوح، والمراد بشقائها هلاكها، ثم قسم ذلك الشقاء فى البيت الثانى، وذلك واضح.

والثانى كقول حسان بن ثابت:

قوم إذا حاربوا ضَرُّوا عدوهم ... أو حاولوا النفعَ فى أشياعهم نَفَعوا
سجيةٌ تلك منهم غيرُ مُحْدَثَة ... إن الخلائقَ فاعْلَمْ شَرُّها البِدَعُ

فقد قسم فى البيت الأول صفة الممدوحين إلى ضرر الأعداء ونفع الأولياء، ثم جمعهما فى البيت الثانى فى أنهما سجية تليدة فيهم، توارثوها كابرا عن كابر.

وقد أعجب الشيخ عبد القاهر الجرجانى بأسلوب التقسيم، وجعله من النظم الذى يدق فيه الصنع، ويشتد ارتباط أجزائه، وخص ما جاء فيه التقسيم أولا ثم الجمع ثانيا، بالمنزلة العالية والدرجة الرفيعة، وقال إنه شيء فى غاية الحسن فقد قال: «.. ومنه التقسيم، وخصوصا إذا قسمت ثم جمعت كقول حسان:

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم...... البيتان.

ومن ذلك وهو شيء فى غاية الحسن قول القائل:

لو أن مـــا أنتـم فـيــــه يدومُ لـكم ظنـنت مــا أنـا فــيـــه دائمـــا أبدا

لكن رأيـت الليــالي غــيــر تاركــةٍ ماسَــرَّ من حَـادثٍ أو ســاء مُطَّرِدا

فـــقـــد سـكنـتُ إلى أني وأنـكم سَنَسْتَـجِـدُّ خِـلاَف الحـالـتين غَـدَا

قوله (سنستجد خلاف الحـالتين غدا) جمع فـيما قسم لطيف وقـد ازداد لطفا بحسن ما بناه عـليه، ولطف مـا توصل به إليـه من قوله (فـقـد سكنت إلى أنى وأنكم)[1].

***

(١) دلائل الإعجاز ص٩٤، ٩٥.

الجمع مع التفريق والتقسيم

وقد مثلوا لها مجتمعة بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٥- ١٠٨].

فإن قوله ﴿نَفْسٌ﴾ جمع، لأن النكرة فى سياق النفى تعم، فهى فى معنى نفوس جمع بين تلك النفوس بأنها لا تتكلم يوم القيامة إلا بإذنه تعالى. والتفريق فى قوله ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾.

وأما التقسيم ففى قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾.

ومن ذلك النوع قول ابن شرف القيروانى:

لمختلفِى الحاجات جَمْعٌ ببابه ... فهذا له فَنٌّ وهذا له فَنُّ

فللخاملِ العَلْيَا وللمُعْدِمِ الغِنَى ... وللمُذنب العُتْبى وللخائف الأَمْنُ

فقد جمع فى قوله لمختلفى الحاجات، وفرق فى قوله فهذا له فن وهذا له فن وقسم فى قوله فللخامل العليا.. إلخ(١).

***

(١) الإيضاح ص٤١ (البغية).

التجريد

وهو فى اللغة إزالة الشىء عن غيره فى الاتصال، يقال جردت السيف عن غمده، وجردت الرجل عن ثيابه إذا أزلتهما عنهما[1].

جاء فى لسان العرب: وتجرد من ثيابه وانجرد تعرى...، والتجريد التعرية من الثياب، وتجريد السيف انتضاؤه[2].

وفى الاصطلاح أن ينتزع من أمر ذى صفة أمر آخر مثله فى تلك الصفة مبالغة فى كمالها فيه وهو أقسام:

١- منها مثل قولهم لى من فلان صديق حميم أى أنه بلغ من الصداقة الصادقة مبلغا يمكنه أن يستخلص منه صديق آخر، فمن التجريدية فى هذا الضرب داخلة على المنتزع منه، وتفيد معنى الابتداء.

٢- ومنها ما يكون بالباء التجريدية الداخلة على المنتزع منه مثل قولهم لئن سألت فلانا لتسألن به البحر، فقد بولغ فى وصفه بالسماحة حتى صح أن ينتزع منه بحرا فى السماحة. وهذا الضرب يقصد منه التشبيه[3].

ويقصد منه التشبيه أيضا مع (من) مثل قوله:

أعانقُ غُصْنَ البانِ من لِين قَدِّها ... وأَجْنِى جَنَى الوَرْدِ من وَجَنَاتِها

جرد من قدها غصنا، ومن وجنتها وردا بعد التشبيه[4].

٣- ومنها ما يكون بدخول باء المصاحبة على المنتزع كقول الشاعر:

وشوهاءَ تعدُو به إلى صارخ الوَغَى ... بمُسْتَلئم مِثْلِ الفَنِيق المُرَحَّلِ

(١) انظر الطراز ص٧٢.

(٢) لسان العرب (جرد).

(٣) انظر عروس الأفراح... ٤/ ٣٥٠.

(٤) شرح عقود الجمان ص١٢١.

أى وفرس شوهاء، وهى صفة محمودة فيها، يصفها بأنها طويلة رائعة، وفى لسان العرب أن الشوهاء القبيحة، والشوهاء المليحة، فهى من الأضداد[1].

ولذلك قيل إنه أراد بها فرسا قبيح الوجه لما أصابها من شدائد الحرب[2].

والمستلئم لابس اللأمة، وهى الدرع، والفنيق المرحل الفحل من الإبل الذى كرمه أهله، وتركوه دون ركوب أو عمل.

فقد بالغ الشاعر فى وصف نفسه بالاستعداد للحرب حتى انتزع منه مستعدا آخر لابس درع.

٤- ومنها ما يكون بدخول (فى) على المنتزع منه كقوله تعالى: ﴿ **لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ** ﴾ [فصلت: ٢٨].

فإن جهنم هى دار الخلد، لكنه انتزع منها دارا مثلها تهويلا لأمرها، وتفظيعا لشأنها.

٥- ومنها ما يكون دون توسط حرف كقول قتادة بن مسلمة الحنفى:

ولئن بقيت لأرحلنَّ بغزوة … تَحْوِى الغنائمَ أو يموتَ كريمُ

فقد انتزع من نفسه كريما، مبالغة فى كرمه، ولذلك لم يقل أموت.

ويبدو أن هذا الشاعر وقبيلته قد حلت بهم هزيمة منكرة، فلامته زوجته، فوعد فى هذا البيت بأنه إن عاش ليرحلن لغزوة ينتصر فيها انتصارا مؤزرا، يحوز الغنائم، أو يموت ميتة الشجعان الكرماء، الذين يجودون بأنفسهم والجود بالنفس أقصى غاية الجود، يدل على ذلك قوله فى قصيدته التى منها هذا الشاهد:

بكرت على من السفاه تلومنى … سفها تعجز بعلها وتلوم

لما رأتنى قد رزئت فوارسى … وبدت بجسمى نهكة وكلوم[3]

(١) لسان العرب (شوه).

(٢) المطول ص٤٣٢.

(٣) انظر معاهد التنصيص: ٣/ ١٤.

٦- ومنها ما يكون بطريق الكناية كما فى قول الشاعر:

يا خـــيـــر من يـركب المطى ولا يشـرب كـأسًـا يكـف من بخـلا

أى يشرب الـكأس بكف كريم، فـقد انتـزع الشاعر مـن الممدوح جوادا كـريما يشـرب هـو الكأس بكفـه عـلى طريق الكنايـة، لأنه إذا نفى عنه الشـــرب بكف البـخيل، فـقد أثبت له الشـرب بكف كريم ومـعلوم أنه يشرب بكـفه فهـو ذلك الكريم[1].

فقـد عبر الشـاعر عن ذلك بالكناية بأن أطلق الملزوم، وهو نـفى الشرب بكف البخيل، وأريد اللازم، وهو الشرب بكف الكريم[2].

٧- ومنها مخاطبة الإنسان نفسه كقول الأعشى:

ودع هـريرة إن الـركب مـــــرتحـل وهل تـطيق وداعـــا أيهـــا الـرجل

فقد انتزع من نفسه شخصا آخر، وخاطبه، ومثله قول المتنبى:

لاخـــيل عندك تهـــديهـــا ولا مـــال فليسعـد النطق إن لم تسـعد الحـال

***

(١) المطول ص٤٣٣.

(٢) انظر حاشية الدسوقى ٤/ ٣٥٤ شروح التلخيص.

المبالغة

وهى أن يدعى لوصف بلوغة فى الشدة أو الضعف حدا مستحيلاً أو مستبعدًا؛ لئلا يظن أنه غير واصل إلى النهاية.

وللعلماء فى المبالغة ثلاثة آراء:

أحدها: قبولها مطلقًا، لأنها الغاية القصوى فى الجودة والإتقان وعلى رأس من ذهب إلى إيثارها وتفضيلها النابغة الذبيانى فيما روى أنه طالب حسان بن ثابت بالمبالغة، ونسبه إلى التقصير فى قوله:

لنا الجفناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى وأسيافنا يقطرن من نَجْدَةٍ دَمَا

ويدعم هذا التوجه قول البحترى:

كلفتمونا حُدودَ منطقكم فى الشعر يَكْفِى عن صِدْقِه كَذِبُهُ

فالشعر لا ينبغى أن يقيد بحدود المنطق، والالتزام بالصدق المطلق، بل يكفى فيه التخيل، والتفنن فى ضروب القول، وأفانين البيان، وليس المراد بقول البحترى (يكفى عن صدقه كذبه) اللجوء إلى الكذب، ووضع الأمور فى غير مواضعها، بل معناه المبالغة فى تناول الأغراض الشعرية، وإظهارها فى صور بديعة قشيبة.

ثانيها: رفضها واعتبارها عيبًا وهجنة فى الكلام، لأن من أهم أغراض الشعر الإبانة والإفصاح، والمبالغة ربما أحالت الكلام ولبسته على السامع، وخير الكلام ما سار على نهج الصدق، واغترف من منبع الحق، ورائد أصحاب هذا الاتجاه قول حسان بن ثابت:

وإنما الشعرُ لُبُّ المرءِ يَعْرِضُه على المجالس إن كَيْسًا وإن حمقا
فإن أشعرَ بيت أنت قائلهُ بيتٌ يُقال إذا أنشدته صَدَقَا

ثالثها: التوسط بين هذى الأمرين، فتقبل إذا جرت على سنن الاعتدال، وجادة البيان، وهذا رأى جمهور العلماء، ويعزز رأيهم وقوعها فى أبلغ الكتب وأعلاها

منزلة، وهو القرآن الكريم فى مواضع شتى منها قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥].

وترد، وترفض إذا جاءت متشحة برداء الغلو، والإفراط الذى درج عليه أمثال ابن هانئ الأندلسى وأبى نواس وأضرابهما ومن هذا الغلو الذى خرج عن المعقول، والمتخيل قول النظام يصف رقة حبه:

توهمه طرفى فآلم خدَّه ... فصار مكان الوَهمْ من نَظرى أثر

وصافحه كفّى فآلم كفّه ... فمن صَفح كفّى فى أنامله حَفْر

ومرَّ بفكرى خاطرًا فَجَرَحْتُه ... ولم أرَ خَلْقًا قطُّ يَجْرَحهُ الفكرُ(١)

• ضروب المبالغة:

وضروب المبالغة حسب الاستقراء، والعقل ثلاثة:

أحدها: التبليغ وهو ما كان الوصف المدعى فيه ممكنًا عقلاً وعادة كقول امرئ القيس:

فعادَى عِداءً بين ثَوْرٍ ونَعْجَةٍ ... دراكًا فلم يَنْضَحْ بماء فيغسلِ(٢)

وصف فرسه بأن أدرك ثورًا ونعجة فى مضمار واحد ولم يعرق، وهذا ممكن عقلاً وعادة.

ومثله قول المتنبى:

وأصرع أيَّ الوحش قفيته به ... وأنزل عنه مثله حين أركب

وما الخيل إلا كالصديق قليلة ... وإن كثرت فى عين من لا يجرب

---

(١) معاهد التنصيص ٣/ ١٩.

(٢) العداء الموالاة بين الصيدين يصرع أحدهما بعد الآخر فى شوط واحد، أراد بالثور الذكر من بقر الوحش، وبالنعجة الأنثى منها. ومعنى داركًا ـ متتابعًا. ويغسل مجزوم عطفا على ينضح، والمعنى لم يعرق فيغسل.
انظر معاهد التنصيص ٣/ ١٧.

يثنى على فرسه بأنه يلحق أى وحش، يتبعه به، ثم ينزل عنه بعد ذلك الجهد الشاق على حالته التى كان عليها حين ركبه، ليس عليه أثر للعناء، أو النصب، وهذا ممكن عقلاً وعادة، وهو مأخوذ من قولهم بلغ الفارس إذا مد يده بالعنان، ليزداد الفرس فى الجرى[1].

ثانيها: الإغراق وهو أن يكون الوصف المدعى ممكنا عقلاً، لا عادة كقول عمر ابن الأهتم التغلبى:

ونكرمُ جارنا ما دام فينا ... ونُتْبِعُهُ الكرامةَ حيثُ مالا

يقول الشاعر إنهم يكرمون جارهم مادام مقيمًا بين ظهرانيهم وذلك لا مبالغة فيه، ولكنه أردف ذلك بأنهم يرسلون عطاياهم إليه فى أى مكان ارتحل إليه، ونزل فى ساحته، وهذا ممكن فى نظر العقل، ممتنع فى الإلف والعادة. وكون هذا البيت من الإغراق مبنى على أن المراد إرسال الإحسان إلى جارهم، أما إن حمل على أنهم يزودونه عند رحيله بما يحتاج إليه، فلا يكون من قبيل الإغراق[2].

والإغراق مأخوذ من قولهم أغرق النبل وغرقه بلغ به غاية المد فى القوس، وأغرق النازع فى القوس أى استوفى مدها... وأغرق فى الشىء جاوز الحد[3] والصلة بين المعنى اللغوى والاصطلاحى واضحة جلية، والتبليغ والإغراق مقبولان.

ثالثها: الغلو وهو ما يكون الوصف المدعى فيه غير ممكن عقلاً وعادة.. وهو ضربان مقبول، ومردود.

فالمقبول يأتى على عدة صور منها:

١- أن يدخل عليه ما يقربه إلى الصحة كلفظ يكاد فى قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥].

---

(١) لسان العرب (بلغ) وحاشية الدسوقى على مختصر السعد ٤/ ٣٥٩.
(٢) شروح التلخيص ٤/ ٣٦١.
(٣) لسان العرب (غرق).

ولفظ لو كما فى قول القائل:

ولو أن ما بِى من جوًى وصبابةٍ على جَملٍ لم يدخل النارَ كافرُ

يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

ومثل قول زهير:

لو كان يَقْعدُ فوقَ الشمسِ منْ كَرَم قومٌ بأحسابهم أو مَجْدِهم قَعَدوا

وقول بعضهم:

ذُبْتُ من الشوق فلو زُجَّ بى فى مُقْلة النائم لم يَنْتَبِه

وكان لِى فيما مضى خَاتَمٌ فالآن لو شئتُ تمنطقتُ به

وقول البحترى:

ولو أن مشتاقًا تكلفَ فوقَ ما فى وُسْعِه لسَعَى إليكَ المنْبَرَ

ولفظ لولا كما فى قول شرف الدين بن الفارض:

كأنى هلالُ الشَّكِ لولا تأوّهِى خَفِيتُ فلمْ تَهْدَ العيونُ لرؤيتى

وقول المتنبى:

كفى بجسمى نحولاً أننى رجلٌ لولا مخاطبتى إياك لم تَرَنِ

٢- أن يتضمن نوعًا حسنًا من التخييل كقول أبى الطيب:

عقدت سَنَابِكُهَا عليه عِثْيَرًا لو تبتغى عَنَقًا عليه لأمكنا

العثير الغبار، والعنق نوع من السير ادعى أن الغبار المثار من سنابك الخيل، تكاثر وتكاثف، حتى صار أرضًا معلقة فى الفضاء يمكن السير عليه، وهذا ممتنع فى العقل والعادة، لكنه تخييل حسن طريف.

وقد جمع القاضى الأرجانى بينهما فى قوله يصف الليل بالطول:

يخيَّلُ لى أن سُمِّرَ الشُّهْبُ فى الدُّجَى وشُدّتْ بأهْدابى إليهنَّ أجفانى

فقد اجتمع فيه لفظ (يخيل) وذلك من النوع الأول، وهذا التخييل الحسن الناشئ من ادعاء أن هناك مسامير وحبالاً كانت سببًا فى وقوف الشهب وشد الأجفان إليها.

٣- أن يخرج مخرج الخلاعة والهزل كقول القائل:

أَسْكَرُ بالأمس إن عزمتُ على الشـ ـرب غدا إن ذا من العجب

والمردود كما فى قول أبى نواس يمدح هارون الرشيد:

وأخفتَ أهلَ الشركِ حتى إنه لتَخافكَ النُّطَفُ التى لم تُخلق

وقول ابن هانئ الأندلسى فى المدح:

ما شئتَ لا ما شاءت الأقدارُ فاحكمْ فأنت الواحدُ القهارُ

وذلك شطط فى التعبير، وتهافت فى هاوية سحيقة من السماجة والقبح، تشمئز منه النفس، ويضيق به الصدر.

واشتقاق الغلو من غلوة السهم، وهى مدى رميته، يقال غاليت فلانا مغالاة وغلاء إذا اختبرتما أيكما أبعد غلوة سهم، ويقال غلا السعر غلاء إذا ارتفع وزاد على ما كان عليه(١).

والمناسبة بين المعنى اللغوى والاصطلاحى واضحة.

***

(١) انظر لسان العرب (غلو).
والعمدة ٢/ ٦٥.

المذهب الكلامى

هو -كما عـرفه الخطيب القزوينى- أن يورد المتكلم حجـة لما يدعيه على طريق أهل الكلام(1).

وحده ابن أبى الإصبع بأنه عبارة عن احتجـاج المتكلم بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه(2).

كقـوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى﴾ [يس: ٨١].

وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

ومنه فى الشعر قول النابغة الذبيانى يعتذر للنعمان بن المنذر:

حَلَفْتُ فلم أتركْ لنفسك رِيبَةً ... ولـيس وراءَ الـلمَـرْءِ مَـطْلَـبُ

ولكـننى كنـت امـرءا لِى جـانبٌ ... من الأرض فيـه مُستـراد ومذهبُ(3)

مُلُوكٌ وإخـوانٌ إذا ما مـدحـتُـهم ... أحكّـم فى أمـوالهـم وأقـرّب

كـفِـعْلكَ فى قومٍ أراك اصـطَفَيْـتَـهُم ... فلم تَرَهُـمْ فى مَـدْحِـهِمْ لـك أذنبـوا

يقول له أنت أحسنت إلى قوم فمدحوك، وقد أحسن إلى قوم فمدحتهم، فكما أن مدحهم لك لا يعد ذنبًا، فكذلك مدحى لمن أحسن إلى لا يعد ذنبًا(4).

ومنه قول الفرزدق:

لكل امـرئٍ نـفـسـان نفسٌ كـريمـةٌ ... ونفس يُعـاصـيـها الـفتى ويُـطيعـهـا

ونفـسك مـن نفـسك تشـفـع للندى ... إذا قل من أحـرارهن شـفـيـعـهـا(5)

---

(١) الإيضاح ص٥٠ (البغية)

(٢) التحرير والتحبير ص١١٩.

(٣) مستراد موضع يتردد فيه لطلب الرزق.

(٤) انظر الإيضاح ص٥١ (البغية). وتحرير التحبير ص١٢١.

(٥) البديع، لابن المعتز ص٥٤. وتحرير التحبير ص١٢١.

يقول الشاعر إن لكل إنسان نفسين مطمئنة تأمره بالخير، وأمارة تأمره بالشر، والإنسان يعصى الأمارة مرة، ويطيعها أخرى ثم يقول للممدوح إن نفسك الأمارة إذا أمرتك بترك الكرم والندى، شفعت المطمئنة إلى الأمارة فى الكرم فى الوقت الذى يعز فيه الشفيع فى الندى من النفوس، فأنت أكرم الناس[1].

ومن هذا الباب قول بعضهم:

ياذا الذى بصروف الدهر عَيَّرنا ... هل عاندَ الدهرُ إلا من له خَطَرُ
أما ترى البحر تَطْفُو فوقه جِيَفٌ ... وتستقرُّ بأقصى قَعْره الدُّرَرُ
وفى السماء نجومٌ لا عداد لها ... وليس يُكسفُ إلا الشمسُ والقمرُ

وقول ابن المعتز:

كيف لا يَخْضَرُّ شاربُه ... ومياه الحسنِ تَسْقِيه

كأنه قال كل نبت يسقى فهو أخضر، وشارب هذا الغلام نبت، ومياه الحسن تسقيه فكيف لا يخضر[2].

***

(١) تحرير التحبير ص١٢١، ١٢٢.

(٢) نفسه ص١٢٢. ومعاهد التنصيص ص٤٩.

حسن التعليل

وهو أن يدعى لشىء علة مناسبة غير العلة الحقيقية، على جهة الاستطراف لإيهام تحقيقه وتقريره، لأن إثبات الشىء معللاً آكد فى النفس من إثباته مجردًا عن التعليل[1].

● **أقسامه:**

وهو أربعة أقسام؛ لأن هذا الشىء أو الوصف إما ثابت قصد بيان علته، أو غير ثابت أريد إثباته، والأول إما ألا يظهر له فى العادة علة، أو يظهر علة غير المذكورة، والثانى إما ممكن، أو غير ممكن.

فالأول: وهو ما كان الشىء الثابت فيه لا يظهر له فى العادة علة غير المذكورة كقول المتنبى مادحًا:

لم تَحْكِ نائلَك السحابُ وإنما ... حُمَّت به فَصبيبُها الرُّحَضَاءُ

لم تلقَ هذا الوجهَ شمسُ نهارنا ... إلا بوجهٍ ليس فيه حياءُ

والرحضاء العرق من أثر الحمى، والصبيب ما صب من المطر، فنزول المطر لا يظهر له فى العادة علة، وقد جعل الشاعر علته ما أصاب السحاب من الحمى لعجزه عن مشابهة الممدوح فى النوال والعطاء، وهى علة فيها ظَرْفٌ وطرافة وليس لها ظلٌّ من الحقيقة.

ومنه قول أبى تمام:

لا تُنكرى عَطَل الكريم من الغنى ... فالسَّيْلُ حَرْبٌ للمكان العالى

فالشىء الثابت فى البيت هو فَقْرُ الكريم، وصُدوف الغنى عنه، وقد عَلَّلَ الشاعر ذلك برفعة الكريم وعلو قدره، وهى علة طريفة، لا وجود لها فى الواقع،

(١) الطراز، للعلوى: ١٣٨/٣.

فكما أن قمم الجبال، وهى أشرف الأماكن وأعلاها لا يستقر فيها ماء السيل[1] فكذلك الغِنَى لم ينزل بساحة الكريم لعلو شأنه، وارتفاع منزلته.

ولا يخفى أن فى البيت تشبيهًا ضِمْنِياً حيث شبه الرجل الكريم الذى لم ينل حظّاً من الغنى بقمة الجبل التى لم يستقر بها السيل.

ومن لطيف هذا الضرب ونادره قول أبى هلال العسكرى:

ومُهَفْهَفٍ قال الإلهُ لحسنه   كُنْ فتنةً للعالمين فكانَهُ

زعم البنفسجُ أنه كعِذارِه   حُسْنًا فَسَلُّوا من قَفَاه لسانَه[2]

فخروج ورقة البنفسج إلى الخلف أمر ثابت لا علة له، لكنه ادعى له علة على سبيل الطرافة والملاحة، وهى أن البنسفج قد تجرأ وافترى أنه يشبه عذار محبوبه، فعوقب على ذلك بسل هذه الورقة إلى الخلف، فكأنها لسان سل من القفا.

والثانى: وهو الشىء الثابت الذى يظهر له فى العادة علة غير المذكورة فى الكلام مثل قول المتنبى يمدح بدر بن عمار:

إنما بَدْرُ بن عمار سحابٌ   هطل فيه ثواب وعقابُ

ما به قتل أعاديه ولكن   يتَّقى إخلافَ ما ترجُو الذئابُ

فإن قتال الأعداء، وهو الشىء الثابت الذى يظهر له علة فى الواقع، وهى هلاكهم، وإبادتهم؛ لدفع أذاهم ومضرتهم حتى تصفو له الحياة، وينعم بالأمان والاطمئنان وقد أهمل الشاعر هذه العلة، وتغافل عنها، وادعى أن ممدوحه، قتل أعداءه، لأن «طبيعة الكرم قد غلبت عليه، ومحبة تصديق رجاء آمليه بعثته على قتل أعدائه، لما علم أنه لما غدا للحرب غدت الذئاب ترجو سعة الرزق من قتلاه، وهذه مبالغة فى وصفه بالجود، وتتضمن المبالغة فى وصفه بالشجاعة على وجه تخييلى أى تناهى فى الشجاعة حتى ظهر ذلك للحيوانات العجم من الذئاب وغيرها..»[3].

---

(١) البلاغة الواضحة ص ٤٦.

(٢) المهفهف: ضامر البطن دقيق الخصر.

(٣) معاهد التنصيص: ٣/٥٣، ٥٤.

ومثل قول أبى طالب المأمونى فى بعض الوزراء ببخارى:

مـــغـــرمٌ بـالثناء صَبٌّ بكسب الـ مَجْـدِ يهتـزُّ للسَّـمـاحِ ارتيـاحًـا
لا يذوق الإغـــفـــاءَ إلا رجـــاءَ أن يرى طَيْفَ مُـسْـتـميـحٍ رَوَاحـا

الإغفاء النوم الخفيف، والمستميح طالب العطاء.

فالأمر الثابت هنا إغفاء الممدوح، وله فيما يبدو علة واقعية هى طلب الراحة، والاستجمام، وقد ترك الشاعر هذه العلة وادعى أن إغفاء ممدوحه ليرى طيف عفاته، وطالبى عطائه، فيأنس به، وترتاح نفسه إليه وقد قيد ذلك بالرواح وهو آخر النهار إشارة إلى أنهم يأتونه فى وجه النهار، على عادة الملوك، فإذا كان العشى قلوا، فيشتاق إلى رؤيتهم، فيغفو لينعم بذلك الطيف، ويسعد برؤيته وذلك على حد قول القائل:

وإنى لأسْتَـغْـشِى ومـا بِىَ نَعْـسـةٌ لعلَّ خـيـالاً مـنك يَلْقَى خـيـاليـا

ومن لطيف هذا الضرب قول ابن المعتز:

قـالوا اشـتـكتْ عـينُه فـقـلتُ لهم من كَـثْـرَةِ الْقَـتْلِ نـالهـا الوصبُ
حُـمْـرتهـا من دمـاءِ مَنْ قَـتَلَتْ والدمُ فـى النَّصْلِ شـاهدٌ عـجبٌ

فمرض العين وحمرتها أمر ثابت علته الرمد أو نحوه ولكن الشاعر جعل علته كثرة قتل المحبين على حد قول جرير:

إن العيـونَ التى فى طَرْفِـهـا حَـوَرٌ قَـتَلْنَنَا ثم لـم يُحـيْـين قَـتـلانا

وقد استعار النصل وهو السيف للعين، لأنها تقتل مثله قتله.

ومثل ذلك قول الآخر:

أتَـتْـنـى تُـؤنـبـنـى بـالـبكـا فـأهلا بـهـا وبتـأنـيـبـهـا
تَقُـول وفـى قـولهـا حِـشْـمَـةٌ أتبكـى بعـيـنٍ ترانـى بهـا
فـقـلتُ إذا استـحـسـنت غـيـرَكم أمـرت الدمـوعَ بتـأديـبـهـا

وقد نظرت لهذا الضرب بشاهد من شعر المحدثين هو قول الشاعر هاشم الرفاعى فى قصيدته (فى ظلال الريف).

وعلى ضفاف النهر تَحْـ ... تَ التُّوتِ ساقيةٌ تدور

يمشى بها ثورٌ تغشاه ... الكَلالُ فلا يخور

حجبوا العيونَ فما رأى ... فى أى دائرةٍ يَسير

قد أَحْزَنَتْهَا حَالُه... ... فبكته بالدمع الغَزِير[1]

فنزول الماء الغزير من الساقية أمر ثابت علته فى الواقع رى الأرض، وسقى الزرع والشجر وقد صرف الشاعر نظره عن هذه العلة وادعى أن هذه المياه هى دموع الساقية التى تذرفها حزنًا على هذا الثور المعذب البائس الذى أضناه النصب، وهزله العمل الدءوب.

والثالث: وهو الوصف غير الثابت الذى أريد إثباته، وهو ممكن مثل قول مسلم ابن الوليد:

يا واشيا حَسُنَتْ فينا إساءَتهُ ... نَجَّى حِذَارُكَ إنسانى من الغَرَقِ

فالوصف المراد إثباته فى البيت هو استحسان إساءة الواشى، وهو ممكن، ولما كان ذلك أمرًا مستغربًا فى عرف الناس، أتبعه الشاعر ببيان علته، فحذره من الواشى، وتيقظه لأفاعيله، أنجاه من الوقوع فيما يكره، فسلم من الندم والبكاء، ولم يغرق إنسان عينه فى الدموع.

وقد ساق صاحب (معاهد التنصيص..) عدة شواهد لهذا النوع منها قول القاضى السعيد بن سناء الملك:

علمتنى بهجرها الصَّبْرَ عنها ... فهى مشكورةٌ على التقبيح

ومنها قول الشاعر:

أهلاً وسهلاً بالمشيب فإنه ... سِمَةُ العفيفِ وحِليةُ الزُّهَّادِ

---

(١) ديوان هاشم الرفاعى ص٨٠.

ومنها قول الآخر:

عـــداىَ لهم فـــضـلٌ علىّ ومِـنَّةٌ   فـلا أذْهَـبَ الرحـمن عنى الأعــاديا

هم بحـثـوا عن زلّتـى فـاجـتنبـتـهـا   وهمُ نافَـسُـونى فاكـتـسبتُ المـعاليـا

ولا يخفى بيان حسن التعليل فيها.

والرابع: وهو غير الثابت الذى قصد إثباته، وهو غير ممكن وذلك مثل هذا البيت المترجم عن الفارسية:

لو لم تكـن نيـةُ الجـوزاء خـدمـتَـه   لما رأيت عـلـيـهـا عِـقْـد منتطق

الجوزاء برج فى السماء، ونطاقها كواكب حولها، فقد أثبت فيه صفة غير ممكنة، وهى نية الجوزاء خدمة الممدوح.

● ما يلحق بحسن التعليل:

يلحق بحسن التعليل ما بنى على الشك، وإنما كان ملحقًا به، لأن الأمر فيه مبنى على الشك، وفى حسن التعليل مبنى على إبهام التحقيق والتقرير مثل قول الشاعر:

كـأن السـحـابَ الغُـرَّ غَيَّـبْنَ تحـتـهـا   حـبيـبًـا فـمـا تـرقـا لهن مَـدامعِ[1]

والسحاب الغر جمع غراء وهى الممطرة، الغزيرة المطر والضمير فى (تحتها) للديار فى البيت قبله وهو قوله:

ألا إن صـــدرى من عـــزائى بَلْـقَعٌ   عـشـيـة شـاقـتـنـى الديارُ البـلاقع[2]

ففى البيت تعليل على سبيل الشك، لأنه علل نزول المطر من السحاب بأنها غيبت تحت تلك الديار حبيبًا فهى تبكى عليه[3].

***

---

(1) ترقا: أى تسكن.

(2) البلقع: الخالى من كل شىء.

(3) معاهد التنصيص ٣/ ٦٩.

التفريع

وهو أن يثبت لمتعلق أمر حكم بعد إثباته المتعلق له آخر كقول الكميت:

أحلامكم لِسَقامِ الجَهْلِ شافيةٌ   كما دماؤُكم تَشْفِى من الكَلَبَ [(١)]

فقد أثبت لدمائهم أنه تشفى من داء الكلب، بعد أن أثبت لعقولهم أنها تشفى من الجهل، ولا يخفى أن الحكم المثبت فى البيت هو الشفاء، وإن كان فى الشطر الأول شفاء من سقام الجهل، وفى الثانى شفاء من مرض الكلب.

والأمر هو ضمير المخاطبين فى (أحلامكم، ودماؤكم) والمتعلقان هما الأحلام والعقول، والمراد بالتعلق الارتباط فقد فرع على وصفهم بشفاء أحلامهم لسقام الجهل، وصفهم بشفاء دمائهم من الكلب.

وكانت العرب تقول من أصابه الكلب والجنون لا يبرأ منه إلا أن يسقى من دم ملك، فهو يقول إن ممدوحيه أرباب العقول الراجحة ملوك وأشراف[(٢)].

وكان ذلك أمرًا مشتهرًا عند العرب قال القاسم بن حنبل المزنى مادحًا:

بناةُ مكارم وأُساةِ كَلْمٍ   دماؤُهم من الكَلَبَ الشِّفَاءُ

وقال عبد الله بن الزَّبير الأسدى فى عبيد الله بن زياد:

من خير بيت علمناه وأكرمه   كانت دماؤهم تشفى من الكلب[(٣)]

***

(١) الكلب بفتح اللام شبه جنون يحدث للإنسان من عض الكلب.

(٢) معاهد التنصيص ٣/٨٨، ٨٩.

(٣) نفسه ٣/٨٩.

تأكيد المدح بما يشبه الذم

ويأتى هذا المحسن على ثلاثة أضرب: أحدها: وهو أفضلها، وأعرقها فى البلاغة أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشىء صفة مدح بتقدير دخولها فى صفة الذم المنفية كقول النابغة الذبيانى:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم   بهن فُلُولٌ من قِرَاع الكتائب

وفلول السيف جمع فل، وهو الثلم، وقراع الكتائب مضاربتها، والكتائب جمع كتيبة وهى القطعة من الجيش فالعيب صفة ذم منفية، استثنى منها صفة مدح، وهى أن سيوفهم بهن فلول، من مقارعة الأعداء، ومنازلتهم فى حومة الوغى، أى لا عيب فيهم إلا تلك البسالة والشجاعة إن كانت عيبًا، وكونها عيبًا محال، فهى من قبيل التعليق بالمحال، كما فى قول العرب حتى يبيض القار - وقولهم حتى يئوب القارظان[1] ومثل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فيكون ذلك مدحًا، بل هو نهايته، ومنتهى مداه.

وفى هذا الضرب تأكيد من وجهين:

أحدهما: أنه كدعوى الشىء ببينة حيث علق الدعوى، وهو إثبات شىء من العيب بالمحال، والمتعلق بالمحال محال، فيتحقق عدم العيب.

ثانيهما: أن الأصل فى الاستثناء الاتصال، فإذا نطق المتكلم بإلا توهم السامع قبل أن ينطق المتكلم بما بعدها أن ما يأتى بعدها مخرج من صفة الذم المنفية، وهذا ذم، فإذا وليها صفة مدح، وتحول الاستثناء من الاتصال إلى الانقطاع، تأكد المدح؛ لأنه مدح على مدح؛ لكونه مشعرًا بأن المتكلم، لم يجد صفة ذم يستثنيها، فاضطر إلى استثناء صفة مدح[2].

---

(١) هما رجلان خرجا يجنيان القرظ وهو شجر يدبغ به الجلد فلم يرجعا، فضرب بهما المثل.

(٢) انظر شرح عقود الجمان للسيوطى ص١٢٦.

ومثل ذلك قول ابن نباته يمدح الملك الأفضل ملك حماة:

لا عيبَ فيه سوى عزائم قصّرتْ عنها الكواكبُ وهى بعد تُحلِّقُ

وقوله:

ولا عيبَ فيها غيرَ سِحْرِ جفُونها وأحبِبْ بها سَحَّارَةً حين تَسْحَرُ

وقول الآخر:

ولا عيبَ فيكم غير أن ضيوفكم تُعَاب بنسيان الأحبةِ والوطن

وقول الصفى الحلى:

لا عيبَ فيهم سوى أن النزيلَ بهم يَسْلُو عن الأهلِ والأوطان والحَشَمِ

وقول ابن الرومى:

ليس به عيبٌ سوى أنه لا تقعُ العينُ على مِثْلِه[1]

ثانيهما: أن يثبت لشىء صفة مدح، وتعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى كقول النبى ﷺ «أنا أفصح العرب بَيْدَ أنى من قريش».

فقوله ﷺ «أنا أفصح العرب» صفة كمال ومدح؛ لأنه أفصح العرب غير منازع ولا مدافع، وقد أردفت هذه الصفة بأداة استثناء، وفى ذلك إيذان بأن ما يأتى بعدها مخالف لصفة الكمال الموجودة قبل الأداة، لكنه ذكر بعدها صفة مدح أخرى، هى أنه من قريش، وهم الذروة فى الفصاحة، وهذا مدح على مدح، وهذا الضرب يفيد تأكيد المدح من جهة واحدة وهى أن ذكر أداة الاستثناء موهم إخراج شىء مما قبلها، فإذا جاء بعد الأداة صفة مدح أخرى، تأكد المدح، ولا يفيد التأكيد من جهة أنه كدعوى الشىء بالبينة، والبرهان كما فى الضرب الأول؛ لأن مبنى الضرب الأول على اعتبار أن الأصل فى الاستثناء الاتصال، بخلاف هذا الضرب، فإن مبناه على اعتبار أن الأصل فى الاستثناء الانقطاع، فتقدير الاتصال هنا غير ممكن؛ لعدم عموم الصفة الواقعة قبل الأداة؛ فلا يتصور شمولها لما بعدها؛

(١) انظر معاهد التنصيص ٣/١٠٩ ـ ١١٠.

بخلاف الضرب الأول، فإن تقدير دخول ما بعد الأداة فيما قبلها ممكن، لكونه من الصفات العامة[1].

ثالثها: أن يأتى الاستثناء فيه مفرغا، بأن يؤتى بمستثنى فيه معنى المدح معمول لفعل فيه معنى الذم، فيتفرغ للعمل فيه ويكون الاستثناء مفرغا كما فى قوله تعالى: ﴿**وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا**﴾ [الأعراف: ١٢٦].

أى ما تعيب منا إلا من أجل المناقب والمفاخر، وهو الإيمان، وقوله: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا..**﴾ [المائدة: ٥٩].

فإن الاستفهام فيه للإنكار، فيكون المعنى لا تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا... إلخ.

وهذا الضرب يفيد تأكيد المدح من الوجهين المتقدمين فى الضرب الأول، فهو نده ونظيره فى إفادة ذلك التأكيد، وإن كان الأسلوب فيهما مختلفا.

قال الخطيب القزوينى:

واعلم أن الاستدراك فى هذا الباب يجرى مجرى الاستثناء كما فى قول أبى الفضل بديع الدين الهمذانى:

هو البدرُ إلا أنه البحرُ زاخرا ... سوى أنه الضِّرْغَامُ لكنه الوَبْلُ[2]

فالاستدراك الذى دل عليه لفظ (لكن) أفاد تأكيد المدح بما يشبه الذم مثل «إلا» و«سوى» فى البيت، لأنه استثناء منقطع، وإلا فيه بمعنى (لكن).

***

(١) البلاغة التطبيقية د/ أحمد موسى ص ٢٩٩.

(٢) الضِّرْغام ـ الأسد الضّارى الشديد.

تأكيد الذم بما يشبه المدح

وهو ثلاثة أضرب:

أحدها: أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها فيها كقول الشاعر:

فـإنّ مَنْ لامنى لا خـير فيـه سـوى　　　وَصْــفِـى له بِأَخَسِّ النَّـاسِ كلـهم

أى أنه لا خير فيه سوى أنه أخس الناس، وهذه الأخسية ليست خيراً على سبيل القطع واليقين، فثبوت الخير له من قبيل المحال، لأنه معلق على محال.

وقد علمت ما فيه ـ فيما سبق ـ

وقد جاء تأكيد الذم على غرار تأكيد المدح من وجهين:

أحدهما: أنه كدعوى الشيء بالبينة والبرهان حيث علق الدعوى وهى ثبوت الخيرية على المحال، وهو كون الأخسية خيراً.

ثانيهما: أن الأصل فيما بعد الاستثناء مخالفته لما قبله، ونفى صفة المدح ذم، فإذا جاء بعدها ذم، كان ذماً فوق ذم.

ومن هذا الضرب قولهم فلان لاخير فيه إلا أنه يسىء إلى من يحسن إليه.

ثانيها: أن يثبت لشىء صفة ذم ويعقب بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى نحو فلان فاسق إلا أنه جاهل.

وقول بعضهم:

هو الكلب إلا أن فـيــه مــلالةً　　　وسـوء مـراعـاةٍ ومـاذاك فـى الكلب

والتأكيد فى هذا الضرب من وجه واحد؛ لأنه ليس فيه أنه كدعوى الشىء بالبينة والبرهان على غرار ما علمت فيما سبق ـ وإن كان ما هنا فى تأكيد الذم، وما سبق فى تأكيد المدح، وذلك ظاهر إن شاء الله تعالى.

ثالثها: أن يؤتى بالاستثناء المفرغ ـ على نحو ما سبق ـ كقولك لا يستحسن من فلان إلا جهله[1].

هذا والاستدراك فى تأكيد الذم بما يشبه المدح كأداة الاستثناء.

ومنه قول الشاعر:

يا حَبِيبَ الإله جُدْ لى بقربٍ ... منك يا صفوةَ العزيزِ الرحيمِ

يا رسولا أعداؤه أرذل النا ... س جميعًا لكنهم فى الجحيم

وتوجيه الاستدراك هنا على نحو ما علمت فى قول الشاعر:

هوالبدر إلا أنه البحر زاخرًا..

***

(١) المطول ص٤٤٢.

الاستتباع

هو المدح بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء آخر كقول المتنبى فى مدح سيف الدولة:

نهبتَ من الأعمارِ ما لو حَوَيْتَهُ   لَهُنِّئَتَ الدنيا بأنك خالد

فقد مدحه بكونه بلغ النهاية فى الشجاعة؛ لأن قتلاه قد كثر عددهم بحيث لو ورث أعمارهم، لخلد فى الدنيا على وجه استتبع مدحه بكونه سببًا لصلاح الدنيا ونظامها حيث جعل الدنيا مهنأة بخلوده، وفيه وجهان آخران من المدح أحدهما: أنه نهب الأعمار دون الأموال، الثانى: أنه لم يكن ظالمًا فى قتل أحد، لأنه لم يقصد بذلك إلا صلاح أمر الدنيا وأهلها، فهم لذلك مسرورون ببقائه[1].

ومثله قوله فى مدح سيف الدولة:

إلى كم تَرُدُّ الرُّسْلَ عما أتوا به   كأنهم فيما وهبتَ ملاَمُ

فقد مدحه بالعزة والمنعة والشجاعة فى رد رسل أعدائه، والتهاون، وعدم المبالاة برسلهم، واستتبع ذلك مدحه بالكرم لأنه عصى من يلومونه فى الهبات[2].

***

(١) انظر الإيضاح ص٦١ (البغية).

(٢) انظر معاهد التنصيص ٣/ ١٣٢.

الإدماج

وهو فى اللغة الإدخال يقال أدمج الشىء فى ثوبه إذا لفه فيه.

وفى الاصطلاح أن يضمن كلام سيق لمعنى معنى آخر، فهو أعم من الاستتباع، لأنه يشمل الكرم وغيره من سائر المعانى، ويجب أن يكون المعنى الثانى غير مصرح به فى الكلام، وألا يكون فيه إشعار بأنه مسوق لأجله[1].

مثل قول المتنبى:

أُقلّبُ فيه أجفانى كأنى ... أَعُدُّ بها على الدَّهْرِ الذُنُوبا

فإنه ضمن وصف الليل بالطول الشكاية من الدهر، لكثرة ذنوبه تجاهه.

ومنه قول ابن المعتز فى الْخِيرِىّ، وهو ورد أصفر.

قد نَفَضَ العاشقون ما صَنَع الْ ... هَجْرُ بألوانهم علَى وَرَقِه

فإنه أدمج الغزل فى الوصف. قال الخطيب القزوينى:

وفيه وجه آخر من الحسن وهو إيهام الجمع بين متنافيين أعنى الإيجاز والإطناب، أما الإيجاز فمن جهة الإدماج، وأما الإطناب فلأن أصل المعنى أنه أصفر فاللفظ زائد عليه لفائدة[2].

وقد يكون المضمن أكثر من معنى كما فى قول ابن نباته:

ولابد لى من جَهْلة فى وصاله ... فمن لى بِخِلٍّ أودعُ الحلمَ عنده

أدمج فى الغزل الفخر بكونه حليمًا، وضمن الفخر شكوى الزمان، لأن الإخوان قد تغيروا، ولم يبق فيهم من يصلح، لإيداع الحلم عنده، وقد دل على هذا كون الاستفهام للإنكار، وقد نبه بذلك على أن حلمه لم يفارقه، لأنه إن وجد من يصلح لأنه يودعه حلمه أودعه إياه، ثم يستعيده. ويمكن أن يكون المضمن فى البيت كمال شرف الحلم وعزته بحيث لا يمكن أن يعتمد على أخ من الإخوان فى جعله أمانة عنده، لا الشكاية من الزمان[3].

---

(١) المطول ص٢٤٢. (٢) الإيضاح ص٦٢ (البغية). (٣) الأطول ٢/٢١٩.

التوجيه

هو إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين متضادين دون تقييد بمدح أو ذم أو غيرهما[١].

ومثاله ما روى من أن بشار بن برد فصل قباء، وهو ثوب يلبس فوق الثياب عند خياط أعور اسمه زيد، فقال له الخياط على سبيل العبث سآتيك به لا يدرى أقباء هو أم دواج[٢] فقال له بشار: لئن فعلت لأعملن فيك بيتا لا يعلم أحد ممن سمعه أدعوت لك فيه، أم دعوت عليك؟ ففعل الخياط، فقال الشاعر:

جاء من زيد قباءُ ... ليت عينيه سواءُ
فاسأل الناس جميعًا ... أمديحٌ أم هجاءُ

فما علم أحد هل أراد أن الصحيحة تساوى السقيمة أو العكس[٣].

ويروى البيتان:

خاط لى عمرو قباءً ... ليت عينيه سواءً
قلت شعرا ليس يدرى ... أَمَدِيحا أم هجاءً

وفى هذه الرواية، أن الذى خاط القباء اسمه عمرو[٤].

والذى يهمنا فى المقام الأول أن موطن الشاهد فيهما وهو قوله (ليت عينيه سواء ـ لا تغيير فيه).

ومن شواهده قول محمد بن حازم فى زواج المأمون ببوران بنت الحسن ابن سهل:

---

(١) انظر شرح عقود الجمان ص١٢٧.
(٢) دواج مثل رمان لحاف يلبس.
(٣) تحرير التحبير ص٥٩٧.
(٤) انظر شروح التلخيص ٤/ ٤٠١ ومعاهد التنصيص ٣/ ١٣٨. والبيت الأول من الأخيرين على لغة من ينصب بليت الجزأين.

بـارك الله لـلـحَـسَـنْ ولبُـورَانَ فى الـخَـتَنْ

يـا إمـام الـهـدى ظفـرتَ ولـكـن بـبـنـت مَـنْ؟

فلم يعلم أراد (ببنت من) فى الرفعة أم فى الضعة[1].

وعليه قوله تعالى: ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا﴾ [النساء: ٤٦].

قال الزمخشرى غير مسمع حال من المخاطب أى اسمع وأنت غير مسمع، وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم أى اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت، لأنه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع، فكان أصم غير مسمع، قالوا ذلك اتكالا على أن قولهم لا سمعت دعوة مستجابة.

أو اسمع غير مجاب ما تدعو إليه، ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك، فكأنك لم تسمع شيئا، أو اسمع غير مسمع كلامًا ترضاه فسمعك عنه ناب، ويجوز على هذا الأخير أن يكون غير مسمع مفعول اسمع أى اسمع كلامًا غير مسمع إياك، لأن أذنك لا تعيه نبوا عنه.

ويحتمل المدح أى اسمع غير مسمع مكروهًا من قولك أسمع فلان فلانًا إذا سبه.

وكذلك قوله (راعنا) يحتمل (راعنا) نكلمك أى ارقبنا وانتظرنا، ويحتمل شبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها، وهى راعينا فكانوا سخرية بالدين، وهزؤا برسول الله ﷺ يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والإهانة، ويظهرون به التوقير والاحترام، ثم قال ـ أى الزمخشرى ـ فإن قلت كيف جاءوا بالقول المحتمل ذى الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا؟ قلت جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان، ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء، ويجوز أن يقولوه فيما بينهم، ويجوز ألا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كأنهم نطقوا به[2].

---

(١) تحرير التحبير ص٥٩٧. (٢) الإيضاح ص٦٤، ٦٥ (البغية). والكشاف ١/ ٢٧١، ٢٧٢.

الهزل الذي يراد به الجد

وهو أن يقصد المتكلم مدح إنسان أو ذمه فيخرج ذلك مخرج الهزل والمجون(١).

كقول أبى نواس من قصيدة يهجو بها تميمًا وأسدًا:

إذا ما تميمىٌّ أتاك مُفاخِرا ... فَقُلْ عَدِّ عَنْ ذا كيف أكْلُكَ للضبِّ(٢)

فإن سؤال التميمى عن أكله الضب فى معنى الاستهزاء، وهو فى الواقع جد؛ لأن تميما يكثرون من أكله، ويعيرون به(٣).

ومنه قول أبى العتاهية:

أرقيك أرقيكَ باسم الله أرقيكا ... من بُخْلِ نفس لعل الله يَشْفيكا

ما سِلْمُ نفسك إلا مَنْ يتاركها ... وما عَدوك إلا من يرجيكا

ومنه قول امرئ القيس:

وقد علمت سَلْمىَ وإن كان بعلها ... بأن الفتى يَهْذِى وليس بفعال

فإن زوجها يهذى، ويقول كلامًا غير معقول حين زعم أنه سيقتل امرأ القيس كما قال:

أيقتلنى والمَشْرَفِىُّ مُضَاجِعى ... ومسنونةٌ زُرْقٌ كأنياب أغوَال

فقوله.. بأن الفتى إلخ ظاهره هزل ولكنه يراد به الجد، وهوهجاء زوجها.

***

---

(١) شرح عقود الجمان ص١٣٠.

(٢) عد عن ذا أى اترك هذا المدح.

(٣) معاهد التنصيص. ٣/١٥٧.

تجاهل العارف

وقد سماه السكاكى سوق المعلوم مساق غيره، وقال: لا أحب تسميته بالتجاهل[1] وذلك لوروده فى القرآن الكريم، وهو كلامه - عز وجل - ويكون ذلك لنكتة، ويتجلى فى مظاهر:

١- كالتوبيخ فى قول الخارجية ليلى بنت طريف الشيبانى ترثى أخاها الوليد ابن طريف:

أيَا شجَر الخَابور مَالَكَ مُورقا ... كأنك لم تجَزعْ على ابنِ طَرِيف[2]

فَتًى لا يُحبُّ الْعِزَّ إلاّ من التُّقى ... ولا المالَ إلا من قَنًا وسُيوفِ

عليك سلامُ الله وَقْفًا لأننى ... أرى الموتَ وقَّاعًا بكلِ شريف

فقدناك فقدانَ الربيع وليتنا ... فديناك من فِتْيَاننا بألوف[3]

فإنها تعلم أن الشجر لا يجزع على أخيها، لكنها تجاهلت ذلك، واستعملت كأن الدالة على الشك[4] وإذا كان الشجر يوبخ على عدم جزعه، فإن غيره من العقلاء أجدر بذلك التوبيخ.

٢- والمبالغة فى المدح كما فى قول البحترى:

أَلَمَعُ بَرْقٍ أرى أم ضوءُ مصباح ... أم ابتسامتها بالمنظر الضاحى؟

فقد بالغ الشاعر فى مدح ابتسامتها فى الليل، حتى صار لا يستطيع التفريق بين تلك الابتسامة، ولمع البرق، وضوء المصباح.

٣- والمبالغة فى الذم كما فى قول زهير:

وما أدرى وسوف إخال أدرى ... أقومٌ آل حِصْنٍ أم نساءُ

---

(١) المفتاح ص٢٠٢.

(٢) الخابور نهر فى ديار بكر تنبت على شاطئيه الأشجار.

(٣) زهر الآداب ٤/ ١٣٦ (ذكر فيه البيتان الثانى والثالث).

(٤) انظر معاهد التنصيص ٣/ ١٦٥. وشرح التلخيص ٤/ ٤٠٣، ٤٠٤.

فـهو يعلم أن آل حـصن رجـال، ولكنه تجـاهل ذلك وأظهر أنه الـتبس عليـه أمرهم، فلم يدر أهم رجال أم نساء لعدم فائدتهم، وهوان شأنهم، وهذا نهاية فى الذم والهجاء.

٤- والتدله فى الحب ـ وهو التحير والدهش ـ كما فى قول الشاعر:

بالله يـا ظبـيـات القـاع قُلْنَ لـنا ... لَيْـلاَىَ منكـن أم ليلى من البـشـرِ

فهو يعلم أنها من البشر، ولكنه تجاهل ذلك، للتدله فى الحب.

ومثله قول ذى الرمة:

أيا ظَبْـيَـةَ الوَعْـسَـاءِ بين جُـلاَجِلٍ ... وبين الـنَّقـا أأنت أم أمُّ سـالم[(١)]

٥- والتحـقير كـقوله تعالى حكاية عن الـكفار -لعنهم الله -﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٧].

كأنهم لم يعرفوا منه إلا أنه رجل ما وهو عندهم أظهـر من الشمس ـ كما قال السعد ـ رحمه الله.

٦- والتـعريض كـمـا فى قوله تعـالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤].

فقد عرض بأن الـكفار هم الضالون قال صاحب الكشاف فى تفـسير تلك الآية «ومعناه وإن أحد الفريقين من الذين يوحدون الرازق من السموات والأرض، ومن الذى يشـركون به الجمـاد الذى لا يوصف بالقدرة لـعلى أحد الأمرين مـن الهدى والضـلال وهذا من الكلام المنصف الذى من سـمعـه من موال أو مناف قـال لمن خوطب به قد أنصفك صاحبك..»[(٢)].

***

(١) الوعساء الرابية اللينة من الرمل، جلاجل، والنقا موضعان.

(٢) الكشاف: ٣/ ٢٥٩.

القول بالموجب[1]

وهو ضربان:

أحدهما: أن تقع صفة فى كلام الغير كناية عن شىء[2] أثبت له حكم فتثبت فى كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشىء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له، أو انتفائه عنه كقوله تعالى: ﴿**يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [المنافقون:٨].

فالأعز صفة وقعت فى كلام المنافقين كناية عن فريقهم، والأذل كناية عن المؤمنين، وقد أثبتوا لفريقهم المعبر عنه بالأعز الإخراج فأثبت الله فى الرد عليهم صفة العزة لغير فريقهم، وهو الله ورسوله والمؤمنون، ولم يتعرض لثبوت ذلك الحكم، وهو الإخراج للموصوفين، بالعزة ـ الله ورسوله والمؤمنون ولا لنفيه عنهم[3].

الثانى: حمل لفظ وقع فى كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله ذلك اللفظ كقول الشاعر:

قلت ثقلت إذ أتيتُ مرارا ... قال ثَقَّلْتَ كاهلى بالأيادى

قلتُ طولتُ قال لا بل تَطَوَّلْـ ... ـتَ وأبْرَمْتَ قال حَبْلَ وِدَادى[4]

فقوله ثقلت فى صدر البيت بمعنى حملتك تكاليف الحياة ومئونتها، وبالإتيان عندك مرة بعد أخرى، وقد حمله على خلاف مراده وأنه إنما أثقل كاهله بالأيادى والنعم.

---

(١) الموجب بكسر الجيم اسم فاعل، لأن المراد به الصفة الموجبة للحكم، وبفتح الجيم اسم مفعول إن أريد به القول بالحكم الذى أوجبته الصفة.

حاشية الدسوقى ٤/٤٠٦، شروح التلخيص.

(٢) المراد بالكناية العبارة.

(٣) المطول ص٤٤٤.

(٤) حاشية الدسوقى ٤/٤٠٦، شروح التلخيص.

قال بهاء الدين السبكى:

«وليس فى قوله قلت طولت قال لا بل قول بالموجب، فإنه رد عليه بقوله لا وأثبت شيئًا آخر، فإن التطويل غير التطول»[1].

وقد أراد بقوله أبرمت أمللت، وأسأمت، فحمله على خلاف مراده وأنه إنما أبرم أى أحكم حبل وداده، ووثق علاقة الود والحب بينهما.

وأما قول الشاعر:

وإخوان حسبتهم دروعا فكانوها ولكن للأعادى
وخلتهمُ سِهاما صائبات فكانوها ولكن فى فُؤادى
وقالوا قد صَفَتْ منا قلوبٌ لقد صَدَقوا ولكن من وِدادى

فالبيت الثالث من هذا القبيل، والأولان قريب منه، لأن اللفظ المحمول على معنى الآخر لم يقع فى كلام الغير بل وقع فى ظنه لمعنى فحمله على خلاف ذلك المعنى[2].

***

(١) عروس الأفراح ٤/ ٤٠٩.

(٢) المطول ص٤٤٤، ومواهب الفتاح ٤/ ٤١٠.

الاطراد

الاطراد فى اللغة مصدر اطَّرَدَ الماءُ وغيره إذا جرى بلا توقف.

وفى الاصطلاح ـ كما عرفه الخطيب ـ هو أن تأتى بأسماء الممدوح، أو غيره، وآبائه على ترتيب الولادة، من غير تكلف فى السبك حتى تكون الأسماء فى تحدرها كالماء الجارى فى اطراده، وسهولة انسجامه[١].

وقد عرفه ابن أبى الإصبع بقوله: أن تطرد للشاعر أسماء متتالية يزيد الممدوح بها تعريفًا؛ لأنها لا تكون إلا أسماء آبائه تأتى منسوقة صحيحة التسلسل غير منقطعة، من غير ظهور كلفة على النظم، ولا تعسف فى السبك بحيث يشبه تحدرها باطراد الماء لسهولته وانسجامه[٢].

كقول الأعشى:

أقيسَ بن مسعود بن قيس بن خالد ... وأنت الذى ترجو حباءك وائل[٣]

وقول دريد بن الصمة يرثى أخاه عبد الله:

قتلنا بعبد الله خَيْرَ لِدَاتِه ... ذُؤَابَ بن أسماءَ بن زيدِ بن قارب[٤]

قال عبد الملك بن مروان لما سمع هذا البيت لولا القافية لبلغ به آدم.

فأما ذكر الأمهات والجدات فليس محمودا عند البلغاء، وأهل العلم بالمدائح الشعرية لما فيه من الركة، وإنزال قدر الممدوح، وقد عيب على أبى نواس فى مدحه لمحمد بن الأمين ذكره لأمه حيث قال:

أصبحتَ يا بنَ زبيدة ابنة جعفر ... أملاً لعقد حباله استحكام

---

(١) الإيضاح ص٧١ (البغية).

(٢) تحرير التحبير ص٣٥٢.

(٣) الحباء العطاء بلا من ولا جزاء. لسان العرب (حبا).

(٤) اللدات جمع لدة، وهو من ولد معه فى وقت واحد.
(المعجم الوجيز ـ لدة ـ).

فإن مـثل هذا مما يعد فى القـبح فى مثل هذا المقام. . وإنمـا كان هذا مكروها، لأن شرف الإنسان إنما يكون بالرجال لا من جهة النساء[1].

ومنه قول الشاعر:

إن يقـتلوك فـقـد ثَـلَلْتَ عُـرُوشَـهمُ بعـتـيـبة بن الحـارث بن شـهـاب[2]

ومن هذا البـاب قوله ﷺ «الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكـريـم يـوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلى الله عليهم أجمعين».

***

(١) الطراز ٣/ ٩٤.

(٢) يقال ثل الله عرشهم أى أهلكهم.

الفصل الثانى

المحسنات اللفظية

- الجناس.
- رد العجز على الصدر.
- السجع.
- الموازنة.
- القلب.
- لزوم مالا يلزم.

الجناس

الجناس فى اللغة مصدر جانس الشىء الشىء إذا شاكله واتحد معه فى الجنس، وفعال مصدر فاعل.

ويقال له التجنيس والتجانس.

وفى اصطلاح البلاغيين هو تشابه اللفظين فى النطق، واختلافهما فى المعنى، كما فى قول الشاعر يرثى ابنه:

وَسَمَّيْتُهُ يَحْيى لِيَحْيَا فَلَمْ يكن ... إلى ردّ أَمْرِ الله فيه سَبِيلُ

فذكرت كلمة يحيى مرادًا بها الاسم، فى الأولى، ومرادا بها الفعل فى الثانية.

والجناس أشرف المحسنات اللفظية ـ كما قال بعض العلماء ـ وقد أولاه العلماء عناية فائقة، حتى ألفوا فيه كتبا كاملة مثل (جنان الجناس) للصلاح الصفدى و(جنى الجناس) للسيوطى.

والجناس منه التام، والناقص.

● **الجناس التام:**

والتام منه ما اتفق لفظاه فى أنواع الحروف، وأعدادها، وهيئاتها، وترتيبها. كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥].

فقد جاءت كلمة ﴿السَّاعَةُ﴾ فى الآية مرتين إحداهما بمعنى يوم القيامة، والأخرى بمعنى الجزء من اليوم قال الإمام السيوطى «.. قيل ولم يقع منه أى التام فى القرآن غير هذه الآية واستنبط شيخ الإسلام أبو الفضل ابن حجر آية أخرى هى ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ ۝٤٣ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ﴾(١) [النور: ٤٣-٤٤]، وغير خفى أن الأبصار الأولى للعيون، والثانية للعقول.

---

(١) شرح عقود الجمان ص١٤٣.

• **والجناس التام قسمان:**

أحدهما ـ المماثل: وهو ما كان اللفظان فيه من نوع واحد (اسمين أو فعلين) **فالاسمان:** كما فى آيتى النور، والروم، السابقتين وكما فى قول المعرى:

لم نَلْقَ غيرَكَ إنسانا نَلُوذُ به ... فلا بَرِحْت لِعَين الدَّهرْ إنْسَانا

(فإنسانا) فى الشطر الأول أحد بنى آدم، وفى الشطر الثانى إنسان العين وقول الشاعر:

حَدَقُ الآجالِ آجالٌ ... والهوى للمرء قَتَّالُ

والهوى صعبٌ مراكبُه ... وركوبُ الصَّعْبِ أهوالُ[1]

الآجال الأولى جمع إجل بكسر الهمزة، وهو القطيع من بقر الوحش، وآجال الثانية جمع أجل بفتح الهمزة والجيم وهو منتهى الأعمار، أى أن حدق النساء اللائى تشبه عيونهن عيون البقر الوحشى، تقتل من ترميه بسهامها على حد قول جرير:

إن العيونَ التى فى طَرْفِهَا حَوَرٌ ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِ حتى لاحِراك به ... وهُنّ أضْعفُ خَلْقِ الله إنسانا

ومن ذلك قولهم: هذه رحبة رحبة، الأولى معناها الساحة، والثانية معناها فسيحة.

ومنه قول الحريرى.. ولا ملأ الراحة من استوطأ الراحة[2] فالأولى راحة الكف، والثانية القعود عن العمل، والمعنى أن من قعد عن العمل، وكان كسولا نومة لن يجد خيرًا، ولا رزقا يمونه، ويسد رمقه.

ومنه قولهم: هذا يتيم عائل، ليس له عائل أى أنه فقير ليس له من يمونه (فعائل) الأولى معناها فقير. كما فى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى:٨]، والثانية من عاله أى كفاه أمره.

---

(١) البيت الثانى من البيان والتبيين ـ للجاحظ ٣/٥٠٦.

(٢) المقامات ٢/٢٥٤.

ومن ذلك كما فى (أساس البلاغة) وله سفر من الكتاب، وأسفار منه، وحطمنى طول ممارسة الأسفار، وكثرة مدارسة الأسفار[1] الأسفار الأولى الارتحال والثانية الكتب، وذلك أكثر من أن يحصى.

والفعلان: كما فى قول سعد الدين العربى:

جسمٌ نحيلٌ وقلبٌ دائما يَجِبُ ... وَحَقِّ عَيْنَيك هذا بعضُ ما يَجِبُ

فالفعل يجب فى الشطر الأول معناه ينبض ويدق، والثانى معناه يلزم، من الوجوب.

مثله قول الآخر:

لمَ يقْضِ من حَقِّكم بعضَ الذى يَجِبُ ... قلبٌ متى ما جرى ذكْرُكم يَجِبُ

ومنه قول الأقسرائى:

وأهوى الذى أَهْوَى له البدرُ ساجدا ... ألستَ تَرى فى وجهه أَثَرَ التُّرْبِ

الفعل أهوى الأول مضارع بمعنى أحب، والثانى بمعنى سقط.

والنوع الثانى: المستوفى وهو ما كان اللفظان فيه من نوعين:

١ - اسم وفعل كقول أبى تمام:

ما مات من كرم الزمان فإنه ... يَحْيَا لدى يَحْيَى بن عبد الله

ومن هذا القبيل قول الحريرى: ولا تأس على ما ذهب ولو أنه واد من ذهب[2].

فإن (ذهب) الأولى فعل ماض من الذهاب. و(ذهب) الثانية اسم المعدن المعروف، أى لا تحزن على ما ضاع منك حتى ولو كان واديا من ذهب.

---

(١) مادة (سفر).

(٢) المقامات ١/٣٠٦ المقامة السابعة والعشرون.

٢- اسم وحرف: كما فى قولهم: رُبَّ رَجُلٍ شَرِبَ رُبَّ آخر[1].

فإن (رب) الأولى حرف جر، والثانية اسم لعصير.

٣- فعل وحرف: مثل علا زيد على جميع أهله أى ارتفع عليهم، الأولى فعل، والثانية حرف جر، وذلك واضح[2] وسمى هذا النوع مستوفيا لاستيفاء كل من اللفظين أوصاف الآخر.

- **التام المركب وغير المركب:**

ينقسم التام أيضا باعتبار آخر إلى :

١- تام مركب.

٢- وتام غير مركب.

١- التام المركب:

وهو ما كان أحد ركنيه لفظا مركبا، ويسمى جناس التركيب مثل قول الشاعر:

عضنا الدهر بِنَابِهْ ... ليت ما حل بِنَابِهْ

لا يُوالى الدهرُ إلا ... خاملا ليسَ بِنابه

ومثل قول الشاب الظريف:

أسرع وسِرْ طالبَ المعالى ... بكل وادٍ وكلٌ مَهْمَهْ

وإن لحَا عاذلٌ جهولٌ ... فقل له يا عذولُ مَهْ مَهْ

المهمة المفازة، ولحا -لام، ومه اسم فعل معناه اكفف، وأحد ركنى هذا الجناس مركب من اسمى الفعل (مه مه).

وإن كان المركب منهما مركبا من كلمة وبعض كلمة سمى (مرفوا) كما فى قول الحريرى:

(١) شروح التخليص ٤/٤١٧.

(٢) نفسه ٤/٤١٧.

وَلاَتَلْهُ عن تَذْكَارِ ذَنْبِكَ وابْكِه بدمع يُحَاكى الوَبْلَ حَالَ مَصَابِه

وَمَثِّل لعينيك الحِمَامَ وَوَقْعَهُ وَرَوْعَةَ مَلْقَاهُ ومَطْعَمَ صَابِه[1]

فقد جانس بين (مصابه) و (مطعم صابه) والأخير مركب من (صابه) والميم الأخير فى (مطعم) «ولا نظر إلى الضمير المضاف إليه فيهما»[2].

وكما فى قول الحريرى:

سِمْ سِمَةً تُحمد آثارها واشكُرْ لمن أعطى ولو سِمْسِمَهْ

والمكرُ مهما اسطعت لا تأته لتقتنى السؤْدُد والمَكْرُمَهْ

والشاهد هنا التجانس بين (والمكر مهـ) فى صدر البيت، و(المكرمة) فى عجزه، وإحداهما مركبة من كلمة وبعض كلمة، والأخرى غير مركبة.

أما الجناس فى البيت الأول فأحد ركنيه مركب من كلمتين (سم سمة) والثانى غير مركب (سمسمة) ومعنى البيتين غنى عن البيان، ومثل ما فى قول الشاعر:

ياليتَ ظَبْيًا هواهُ فى الحشا رَسَخَا لو بالتلفت مُذْ أَبْدَى النِّفَارَ سخا

فإن الجناس فيه بين (رسخ) وهو فعل ماض، وما يناظره من النفار (سخا)، والأخير من لفظيه مركب من الراء فى آخر (النفار) و(سخا).

• **المتشابه والمفروق:**

وإذا لم يكن المركب منهما مركبا من كلمة وبعض كلمة، بأن كان مركبا من كلمتين أو أكثر، فإن اتفق ركناه فى الخط سمى متشابها كما فى قول أبى الفتح البستى:

إذا ملك لم يكن ذاهبهْ فَدَعْهُ فدولتُه ذاهبهْ

---

(١) الوبل: المطر الشديد، مصاب مصدر صاب المطر أى انصب.

الحمام: بكسر الحاء الموت. والصاب: شجر مر واحده صابة.

(٢) انظر عروس الأفراح، للسبكى ٤١٧/٤، شروح التلخيص.

فإن (ذاهبة) فى الشطر الأول مركبة من (ذا) بمعنى صاحب و(هبة) أى عطاء، و(ذاهبة) فى الشطر الثانى بمعنى فانية، مفرد والأولى مركبة من كلمتين، وقد اتفق ركناه فى الخط.

وإن اختلف ركناه فى الخط سمى مفروقا كقول أبى الفتح أيضا:

كلكم قد أخذَ الجَا م ولاَجَامَ لنا

ما الذى ضَرَّ مُديرَ الـ جَامِ لَوْ جَامَلَنَا

الجام الكأس، ومدير الجام الساقى الذى يديره عليهم، وجاملنا عاملنا بالجميل، فكل من ركنيه مركب ولكنهما غير متشابهين فى الخط ومنه قول الآخر:

لا تعرضنَّ على الرواة قصيدةً مالم تبالغ قبلُ فى تهذيبها

فمتى عرضتَ الشعرَ غير مُهَذَّبٍ عدوه منك وساوسا تَهْذِى بِها

الوساوس ما يخطر على القلب من شر، أو مما لا خير فيه وتهذى تتكلم بما لا يعقل فالتجانس بين (تهذيبها، وتهذى بها).

والأول مركب من المصدر (تهذيب) ومن الضمير (ها).

والثانى مركب من المضارع (تهذى) و(بها) وقد اختلف المتجانسان فى الخط فهو جناس مفروق.

ومنه قول الحريرى السابق:

سم سمة تحمد آثارها واشكر لمن أعدى ولو سمسمهْ

ومنه قول أبى الفتح البستى وهو فى أسرار البلاغة[1].

وكل غنًى يتيه به غنىٌّ فَمُرْتَجَعٌ بموت أو زَوَالِ

وهب جدِّى طوى لى الأرضَ طُرّاً أليس الموتُ يَزْوِى مَازَوَى لى

(١) أسرار البلاغة ص١٦

ومعنى جدى -حظى -طرا جميعًا أى كلها.

يزوى ما زوى لى أى يختار، ويمتلك، ويأخذ كل ما أمتلكه.

جانس بين (زوال) و(زوى لى) والأول غير مركب والثانى مركب من الفعل (زوى) والجار والمجرور (لى) وقد اختلفا فى الخط.

وإذا قد بدا لك الفرق بين المتشابه، والمفروق، فلا شك أنه يمكنك أن تعرف من أى النوعين ما جاء فى قول جميل بن معمر:

خليلىّ إن قالت بثينةُ مَالَهُ ... أتانا بلا وَعْدٍ فقولا لَهَا لَهَا

أتى وهو مشغولٌ لعظم الذى به ... ومن باتَ طولَ الليلِ يرعى السُّهاسَهَا

بثينة تُزْرِى بالغزالة فى الضحى ... إذا بَرَزَتْ لم تُبقْ يوما بِهَا بَهَا

- **الجناس غير التام:**

إذا اختلف طرفا الجناس فى أحد الأمور الأربعة هيئة الحروف، ونوعها، وعددها، وترتيبها كان غير تام.

- **الجناس المحرف:**

فإذا اختلف ركناه فى هيئة الحروف سمى محرفا، لانحراف هيئة أحد اللفظين عن هيئة الآخر كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ (٧٢) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾ [الصافات: ٧٢-٧٣].

وقوله ﷺ «اللهم كما حسنت خَلْقِى حَسّنْ خُلُقِى»، وقولهم: البِدْعَة شَرَكُ الشِّرْك.

ومنه قولهم إذا جاءت الخَلَّةُ، ذهبت الخُلَّة[1] أى إذا افتقر أحد الصديقين، ذهبت الصداقة، لأن الفقر فى الوطن غربة وصدق من قال:

إن قلّ مالى فلا خلٌّ يصاحبنى ... إن زادَ مالى فكل الناسِ خِلاَّنِى

والخلة الأولى بفتح الخاء، والثانية بضمها..

ومن ذلك النوع ما فى قول أبى العلاء:

والحسنُ يظهر فى بيتين رونقه ... بَيْتٌ من الشِّعْرِ أو بيتٌ من الشَّعَرِ

(١) أساس البلاغة.

ومنه قول الشاعر:

الجَدُّ في الجدِّ والحرمان في الكسل فانصبْ تُصِبْ عن قريب غَايَةَ الأَمِلِ

(فالجد) في صدر البيت الحظ بفتح الجيم، و(الجد) الأخرى الاجتهاد في العمل، ومعناه أن الحظ ليس غيثًا ينزل من السماء، وإنما هو ثمرة للكد، والمثابرة، والسعى الدائب المتواصل.

وبذلك يتضح جليا أن الاختلاف في الهيئة هو ما كان في الحركة أو السكون.

● **الجناس الناقص:**

وإذا اختلف لفظا الجناس في أعداد الحروف سمى ناقصًا، لنقصان أحد اللفظين عن الآخر ويكون ذلك على وجهين:

أحدهما: أن يختلفا بزيادة حرف واحد في الأول كما في قوله تعالى: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [القيامة: ٢٩-٣٠].

وكما في قولك إذا لم يجملك مالك، لم يجد عليك جمالك..

أو في الوسط كقولهم جَدّى جَهْدى أى أن حظى في الدنيا على قدر مشقتى فيها على حد قول المتنبى:

لولا المشقةُ ساد الناس كلهم الجود يُفْقرُ والإقدام قَتَّالُ

وكما في قولك هذا البلد لو لم يكن مهولا، لكان مأهولا، بزيادة الهمزة في الوسط، ومكان مهول أى فيه هول[1].

أو في الآخر كما في قول أبى تمام:

يَمُدُّون مَن أيدٍ عواصٍ عَواَصمٍ تصول بأسياف قواضٍ قواضبِ[2]

بزيادة (ميم) في عواص، و(باء) في قواضب.

وكما في قول البحترى:

---

(١) أساس البلاغة (هول).

(٢) عواص: جمع عاصية أى على الأعداء، قواض: قواطع عواصم جمع عاصمة أى حافظة.

لئن صَـــدَفَتْ عَنَّـا فَـــرُبَّتَ أَنْـفُسٍ صَوَادٍ إلى تلك الوجـوه الصوادفِ[1]

بزيادة الفاء فى الآخر:

وقـد يسمى الجناس فـى هذه الحال مطرفـا، ولعل ذلك لأن الحـرف الزائد فى الآخر جاء فى طرف الكلمة.

ومن ذلك ما كتب به المعـتمد بن عباد إلى صـاحب له يدعوه إلى مجلس أنس له:

أيها الـصـاحبُ الذى فـارقـت عـيـ نى ونفـــسى منـه السَّنَا والـسناءَ[2]

أنـت فى المجـلس الـذى يـهب الـرَّا حَـــةَ والمســمع الـغِنَى والغِـنَاءَ[3]

نتـــعـــاطى التـى تُنْسى من الـلذَّ ةِ والرقـــة الـهـــوى والْهَـــوَاءَ[4]

فـــأته تُـلْفِ راحـــةً ومُـــحَـــيّـــا قـد أعـدا لك الحـيَـا والحـيـاءَ[5]

ومنه قول بعضهم:

إذا جاء ضـيفٌ جاء للضيف ضَـيْفَنٌ فأودى بما يَقْرِى الضيوفَ الضيافنُ[6]

الثانى: أن يختلفا بزيادة أكثر من حرف، واحد كقول الخنساء:

إن الـبـكاء هـو الـشــــفـــــا ءُ من الجَـــوَى بـين الجـــوانـحِ

الجوى حـرقة القلب، والجـوانح الضلوع، والتجـانس، فى البيـت بين الجوى والجوانح، وقد زاد حرفان فى الجوانح ومن ذلك قول حسان بن ثابت:

وكنـا مـتىَ يـغـزُ النبىُّ قـبـيـلةَ نَصِلْ جـانبـيـه بالْـقَنَا والْقَـنَابِلِ

فالقنا الرماح، والقنابل جماعة الخيل، بزيادة حرفين فى آخر (والقنابل).

---

(١) صدفت: انصرفت. صواد: جمع صادية اسم فاعل من الصدى وهو العطش.

(٢) السنا: النور. والسناء: الرافعة، الأول راجع إلى العين، والثانى إلى النفس.

(٣) الغنى: ضد الفقر، والمسمع: الأذن، الغنى راجع إلى الراحة والغناء إلى المسمع.

(٤) التى تنسى هى الخمر.

(٥) المحيا: الوجه والحيا: المطر، والمراد به العطاء.

(٦) الضيفن: الذى يأتى مع الضيف دون أن يدعى.

ومنه قول النابغة فى الرثاء:

فيــالك من حــزم وعـزم طواهـمـا جـديدُ الرَّدَى بين الصَّفَـا والصَّفَـائِحِ

الصفا الحجارة، والصفائح حجـارة تبلط بها الدور، وتسقف القبور، والتجانس ـ كما هو واضح ـ بين الصفا والصفائح بزيادة حرفين فى (والصفائح).

قال الخطيب القزوينى وربما سمى هذا الضرب مذيلا(١).

● جناس القلب:

إذا اخـتلف اللفظان المتجـانسان فى تـرتيب الحروف سـمى جناس القلب وهو ضربان: قلب الكل كما فى قول العباس بن الأحنف:

حُـسـامك فـيـه للأحـبـاب فَـتْحٌ ورُمْـحُك فـيـه للأعـداء حَـتْفُ

فبين (فتح) و(حتف) قلب للحروف كلها.

ومنه قول بعضهم رحم الله امرءا أمسك ما بين فكيه، وأطلق ما بين كفيه

وقول المتنبى:

مُـمَـنَّعَـةٌ منعـمـةٌ رداحٌ يُكَلِّفُ لَـفْظَهَـا الطيـرُ الوقـاعـا(٢)

ومن ذلك أيضا قول الحريرى:

لجـوبُ البـلاد مع الـمَـتْـرَبَهْ أحـبُّ إلى مـن الـمَـرتبَـهْ

المتربة الفقر، والمرتبة المنزلة العالية..

ومنه قول أبى تمام:

بيضُ الصفائح لاَسُودُ الصحائف فى مُـتُـونُهُنَّ جَـلاَءُ الشَّكِ والـرِّيبِ

فالصفائح جمع صفيحة وهو السيف، والصحائف جمع صحيفة أى الكتاب.

---

(١) الإيضاح ص٨٣ (البغية).

(٢) ممنعة: يمنعها أهلها ويحمونها، الرداح: ضخمة الأرداف، يكلف لفظها الطير الوقوع يعنى أن صوتها عذب جميل إذا سمعتها الطير هوت من عليائها لتصغى إليها.

وكما فى قولهم رفع الحوائج أسد من نزول الجوائح أى رفع الحاجات، وسؤال الناس أشد وقعا على النفس من نزول المصائب.

الجناس المقلوب المجنح:

إذا وقع أحد المتجانسين فى جناس القلب أول البيت والآخر فى نهايته سمى مقلوبا مجنحا كقول الشاعر:

لاح أنوارُ الهدى من كَفِّهِ فى كل حالِ

ومثله قول ابن نباته:

ساقٍ يُرينى قلبُه قسوةً وكلُّ ساقٍ قَلْبُه قاس[1]

فإن (حال) فى آخر البيت الأول مقلوب (لاح) فى أوله، و(ساق) فى أول البيت الثانى مقلوب (قاسى) فى آخره، ولا يخفى ما فى هذا النوع من التمحل والتكلف.

• الجناس المزدوج والمكرر والمردد:

إذا ولى أحد المتجانسين الآخر أى تجاور المتجانسان سمى ذلك جناسًا مزدوجًا، أو مكررًا، أو مرددًا.

كقوله تعالى: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢].

وكما فى الحديث «المؤمنون هينون لينون».

وقولهم: من طلب وجد، وجد، وقولهم: من قرع بابا ولَجَّ، ولَجَ، وقول الشاعر:

يَمُدُّونَ من أيدٍ عواصٍ عواصمٍ تصول بأسياف قواضٍ قواضبِ[2]

وكما فى قولك المباكرة مباركة، وهذا معناه البركة فى البكور، وكما يقال فلان من أهل السفالة والفسالة، وكل مسترذل ردىء فهو فسل[3].

---

(١) المقامات ١/ ٦٥.

(٢) حاشية الدسوقى ٤/ ٤٢٩ شروح التلخيص.

(٣) أساس البلاغة (فسل)..

• الجناس المضارع واللاحق:

وإذا اختلف لفظاه فى أنواع الحروف اشترط ألا يزيد الاختلاف على حرف واحد، فإن كان الحرفان المختلفان متفقين فى المخرج أو متقاربين سمى الجناس مضارعًا، لمضارعة المباين فى اللفظين لقرينه فى المخرج، وإن كانا مختلفين سمى لاحقًا.

• الجناس المضارع:

كما فى قول الحريرى بينى وبين كنىّ ليلٌ دامس، وطريق طامس، والكن المنزل، والحرف المختلف فى أول اللفظين، ومنه ما جاء فى الحديث: «**أوصيكم بالشبّاب خيرًا، فإنهم أرَقّ أفئدة، إن الله تعالى بعثنى بشيرًا ونذيرا فَحَالفنى الشباب، وخَالَفَنِى الشيوخ**».

التجانس كما ترى بين (حالفنى وخالفنى) والحرف فى أول اللفظين وهو الحاء والخاء.

ومن ذلك قول الحريرى ما بالك شمخت بأنفك على إلفك، الاختلاف بين اللام والنون، وهما فى الوسط، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ**﴾ [الأنعام: ٢٦].

وقولهم: خُلْفُ الوعد خُلُق الوغد، الاختلاف بين العين والغين وهما فى الوسط أيضا، ومثل ذلك ما يتمثل به فى تجارب الحياة الشىء الذى يؤلمك يعلمك، الاختلاف بين الهمزة والعين وهما فى الوسط أيضا، وقول ابن المعتز: نصح الصديق تأديب ونصح العدو تأنيب.

ومنه قوله ﷺ: «**الخيلُ معقودٌ بنواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة**» التجانس بين الخيل، والخير، والاختلاف بين اللام والراء.

• الجناس اللاحق:

كما فى قوله تعالى: ﴿**وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ**﴾ [الهمزة: ١] وقول بعضهم: رب

وضى غيـر رضى، وقول الحريرى لا أعطى زمـامى لمن يخفر ذمـامى ومنه قولهم غاض الكرام غـيضًا، وفاض اللئـام فيضا، التـجانس بين (غاض وفاض وغـيضا وفيضا) والحرف المختلف هو الأول فى جـميع ما ذكر، ويجىء فى الوسط كما فى قوله: ﴿ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غـافر: ٧٥]. وقـوله: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٧-٨] ويكون فـى الآخر كقـوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ﴾ [النساء: ٨٣] وقول البحترى:

هـل لما فـــاتَ مـن تـلاقٍ تَلاَفـى ... أم لشـــاكٍ من الصَّـــبَـابَةِ شَـــافِى

- **ما يلحق بالجناس:**

يلحق بالجناس شيئان:

أحدهما: أن يجمع اللفظين الاشتـقاق، وهو أخذ لفظ من آخر لمناسبـة بينهما فى المعـنى، ولم يكـن هذا من الجنـاس؛ لأن اللفـظين فى الجنـاس يجب أن يكـونا مخـتلفين فى المعنى، والاشتقـاق فيه اتفـاق فى أصل المعنى وذلك كقـوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ [الروم: ٤٣]، وقولـ ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٩]، روح أى استراحة وريحان أى رزق -كما فى الكشاف-.

وقوله ﷺ: «الظلم ظلمات يوم القيامة».

ومنه قول البحترى:

يَعْشَى عن الـمَجْدِ الغَـبِىُّ ولن ترى ... فى ســـودد أَرَباً لِـغَـــيْـــرِ أَرِيبِ

الأرب الحاجة، والأريب الماهر

وقول محمد بن وهيب:

فـسمت صـروفَ الدهر بأسـا ونائلا ... فـمـــالُكَ مَـوتُورٌ وسـيـفك وَاتِرُ

الموتور والواتر مأخذان من وتره إذا أصابه بظلم أو مكروه.

والثانى: أن يجمعهما ما يشبه الاشتقاق، وهو ما يختلف اللفظان فيه فى أصل الاشتقاق كما فى قوله تعالى: ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ﴾ [التوبة: ٣٨].

وقوله: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨].

وقوله: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤].

وقول البحترى:

وإذا مــــاريـاحُ جُـــــودِكَ هَبَّتْ صـار قـولُ العَـذُولِ فـيـهـا هبـاء[١]

***

(١) هبت: أى ثارت، والهباء: الغبار، ولم يكونا من الاشتقاق لأن الهباء من هبا يهبو أى سطع والهباء دقاق التراب ومنثوره على وجه الأرض، وهبت من هب يهب.
انظر لسان العرب (هيب).

رد العجز على الصدر

يرد عجز الكلام أى آخره على صدره، وهو أوله، وقد توسع فى استعمال كلمة الصدر حتى شملت ماجاء قبل العجز، كما يتجلى من الشواهد التى سيقت له، ويأتى فى النثر وفى الشعر، وهو فى النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين، أو المتجانسين، أو الملحقين بهما فى أول الفقرة، والآخر فى نهايتها.

فالمكرران كما فى قوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وفى قولهم: الحيلة ترك الحيلة.

والمتجانسان كقولهم: سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل، فإن سائل فى صدر الكلام طالب العرف، وسائل فى عجزه من سيولة الماء، وهذا من قبيل الجناس - كما علمت -.

والملحقان بهما كما فى قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾ [نوح: ١٠] وقوله ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨] الآية الأولى من الاشتقاق، والثانية من الملحق به.

وفى الشعر أن يكون أحدهما فى آخر البيت، والآخر فى صدر المصراع الأول، أو حشوه، أو آخره، أو صدر الثانى.

فالأول كقول الشاعر:

سريعٌ إلى ابن العم يلطم وجهه ... وليس إلى داعى النَّدَى بسريع

وقد جاء هذا البيت برواية أخرى يشتم عرضه(١).

ومثله قوله الآخر:

سُكرانِ سُكرُ هوًى وسُكرُ مُدامةٍ ... أنَّى يُفيقُ فتًى به سُكْرانِ

(١) انظر العمدة لابن رشيق ٢/ ٣. والتحرير والتحبير ص ١١٦.

أى أن به سكرين سكر من الهوى وهو الحب، وسكر من الخمر.

والثانى: كقول الشاعر:

تَمَتَّعْ من شميم عَرَارِ نَجْدٍ … فما بعد العشية من عَرَارِ

والعرار نبات طيب الرائحة.

ومثله قول أبى تمام:

ولم يَحْفظْ مُضَاعَ المجدِ شيءٌ … من الأشياء كالمالِ المُضَاعِ[1]

ونحوهما قول البارودى:

حُزْنٌ برانى وأشواقٌ رَعتْ كَبِدى … يا وَيْحَ قَلْبىَ مِنْ حُزنٍ وأشواق

والثالث: كقول أبى تمام:

ومن كان بالبيضِ الكَواعِب مُغْرَمًا … فما زِلْتُ بالبيض القَواضِبِ مُغْرما[2]

ومثله قول عبيد بن الأبرص:

وكلُّ ذى غَيْبَةٍ يئوبُ … وغائب الموت لا يئوب

وقول الآخر

يُلْفَى إذا ما كان الجيشُ عَرَمْرَمًا … فى جيش رأىٍ لا يُفَلُّ عَرمَرَمْ

والجيش العرمرم هو الكثير.

والرابع: كقول ذى الرمة:

وإن لم يكن إلا مُعَرَّجَ ساعة … قليلا فإنى نَافِعٌ لى قليلها[3]

وقول الآخر:

ويَعْذُلُنى خَلِىٌّ ويزعم أنه … نصيحٌ وهل فى العاذلين نَصِيحُ

(١) مضاع المجد مصدر ميمى أى إضاعته، والمال المضاع المنفق فى الكرم.

(٢) البيض القواضب: السيوف القواطع.

(٣) معرج مصدر ميمى بمعنى الوقوف واللبث وقليلا صفة له، وهذا وما قبله من قبيل تكرير اللفظين فى مواضعهما التى علمت.

وقول البارودى:

وهَوَّنَ الخطبَ عندى أننى رجلٌ ... لاقٍ من الدهْرِ ماكلُّ امرِئٍ لاَقِ

والخامس: كقول القاضى الأرجانى:

دعانى من ملامكما سِفَاهًا ... فداعى الشوقِ قبلكما دعانى[1]

وقول الآخر:

ذوائبُ سودٌ كالعناقيد أرسلت ... فمن أجلها منها النفوسُ ذَوَائبُ

وقول الآخر:

سل سبيلا إلى راحة النفس براح كأنها سلسبيل[2]

والسادس: كقول الشاعر:

وإذا البلابلُ أفصحت بلغاتها ... فَانْفِ البَلاَبِل باحتساء بَلاَبِلِ[3]

والسابع: كقول الحريرى:

فمشغوفٌ بآيات المثانى ... ومفتونٌ برنَّاتِ المثانى[4]

والثامن: كقول القاضى الأرجانى:

أمَّلتهُمْ ثَمّ تَأملتهم ... فلاحَ لى أَنْ ليس فيهم فلاحُ

أملتهم رجوت خيرهم.

والتاسع: كقول البحترى.

ضرائبٌ أبدعتها فى السماح ... فلسنا نرى لك فيها ضريبا[5]

(١) جناس بين دعانى (أتركانى) و(دعانى) أى نادانى.

(٢) السلسبيل: الماء العذب.

(٣) البلابل فى الشطر الأول جمع بلبل وهو الطائر، وفى حشو الشطر الثانى جمع بلبال وهو الهم، والبلبل فى آخره قناة الإبريق التى يصب منها الخمر.

(٤) مشغوف: مولع. المثانى فى الشطر الأول القرآن، وفى الثانى أوتار المزامير.

(٥) ضرائب فى صدر البيت جمع ضريبة وهى الطبيعة، والضريب فى آخره المثيل.

والعاشر: كقول امرئ القيس:

إذا المرءُ لم يخزن عليه لسانه ... فليس على شيء سواه بخزان

وقول أبى العلاء المعرى:

لو اختصرتم من الإحسان زرتكم ... والعَذْبُ يُهْجَرُ للإفراط فى الْخَصَرِ [1]

والحادى عشر: كقول الآخر:

فَدَعْ الوعيد فما وعيدك ضائرى ... أطَنِينُ أجنحة الذُّباب يَضيرُ [2]

والثانى عشر: كقول أبى تمام.

وقد كانت البيضُ القواضبُ فى الوغى ... بواتر فهى الآن من بعده بُتُرُ [3]

***

(١) اختصرتم: أقللتم. العذب: الماء العذب.

الخصر: البرودة، وبين اختصرتم، والخصر ما يشبه الاشتقاق.

(٢) بين ضائر، ويضير اشتقاق.

(٣) بواتر: وبتر من الاشتقاق.

السجع

قال صاحب لسان العرب: سجع يسجع سجعا استوى واستقام، وأشبه بعضه بعضا.. والسجع الكلام المقفى، والجمع أسجاع وأساجيع وكلام مسجع، وسجع يسجع سجعًا، وسجّع تسجيعًا تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن، وصاحبه سجاعة وهو من الاستواء، والاستقامة، والاشتباه كأن كل كلمة تشبه صاحبتها.. وسجع الحمام سجعا هدل على جهة واحدة.. وسجع الحمامة موالاة صوتها على طريق واحد، تقول العرب سجعت الحمامة إذا دعت وطربت في صوتها، وسجعت الناقة سجعا مدت حنينها على جهة واحدة[1].

والسجع فى اصطلاح البلاغيين تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد وقال السكاكى الأسجاع فى النثر كالقوافى فى الشعر[2].

وقد يطلق السجع على نفس الكلمة الأخيرة من الفقرة؛ لموافقتها للكلمة الأخيرة من فقرة أخرى[3].

ويظهر من هذا التعريف أن العلاقة بين المعنى اللغوى، والمعنى الاصطلاحى جد وثيقة، فالسجع فيه استواء وتناسب وتلاؤم بين الكلمات، على سبيل ملحوب، وطريق لاعوج فيه.

وقد بدا أمامك فى التعريف مصطلح الفاصلة، والفقرة، أما الفاصلة فهى الكلمة الأخيرة من الفقرة، وأما الفقرة فهى قطعة من الكلام تزاوج أخرى مثلها، ومثلها فى ذلك مصطلح القرينة.

أضرب السجع:

يتنوع السجع إلى ثلاثة أضرب:

---

(١) لسان العرب (سجع).

(٢) الإيضاح ص٩٢ (البغية) والمفتاح ص٢٠٣.

(٣) شروح التلخيص ٤/٤٤٦.

أحدها: السجع المطرف وهو ما اختلفت فاصلتاه فى الوزن، واتفقتا فى الروى كما فى قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣، ١٤].

فإننا نجد كلمة (وقارا) قد خالفت (أطوارا) فى الوزن، ولكنهما اتفقتا فى الحرف الأخير.

ومثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٦، ٧].

ومنه قولهم جنابه محط الرحال، ومخيم الآمال.

وسمى مطرفا لأنه خارج فى التوغل فى الحسن إلى الطرف، بخلاف غيره، أو لأن ما وقع به التوافق وهو الاتحاد بين الفاصلتين إنما هو الطرف، وهو الحرف الأخير دون الوزن[1].

ثانيها: المرصع، أو الترصيع وهو ما اتفقت فيه جميع ألفاظ الفقرتين أو أكثرها فى الوزن والتقفية.

مثل قول الحريرى: فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه، وقول الهمذانى: إن بعد الكدر صفوا، وبعد المطر صحوا، وقول أبى الفتح البستى: ليكن إقدامك توكلا، وإحجامك تأملا.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦].

وقوله: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

وقولهم: «**إذا قلت الأنصار، كلت الأبصار**».

ومنه قوله ﷺ: «**اللهم أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وأعط مُمْسِكًا تَلَفًا**».

وسمى ترصيعًا تشبيهًا له بجعل إحدى اللؤلؤتين فى العقد فى مقابلة الأخرى.

---

(١) انظر: حاشية الدسوقى على مختصر السعد ٤/٤٤٦، ٤٤٧، شروح التلخيص.

الثالث: المتوازى وهو ما اتفقت فاصلتاه فى الوزن والتقفية، دون نظر إلى اتفاق باقى ألفاظ الفقرتين كقوله تعالى: ﴿سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية ١٣، ١٤].

فإن كلمة (مرفوعة) متفقة مع (موضوعة) فى الوزن، والروى ولا عبرة باختلاف (سرر) و(أكواب) فى الوزن والتقفية، ومثل قوله ﷺ: «اللهم إنى أدرأ بك فى نُحُورهم، وأعوذُ بك من شرورهم».

فإن الفاصلتين (نحورهم وشرورهم) قد اتفقتا فى الوزن والروى دون باقى الكلمات.

ومثل ذلك قولهم أتبع الفرس لجامها، والناقة زمامها.

• سكون الأعجاز فى السجع:

والأسجاع مبنية على سكون الأعجاز، موقوف عليها، إذ لا يتم التناسب، والتواطؤ، والاستواء، والاستقامة إلا بالوقف والسكون كقولهم ما أبعد ما فات، وما أقرب ما هو آت، إذ لو لم يعتبر السكون، لفات السجع، لأن التاء من فات مفتوح، لأنه فعل ماض، والتاء فى آت منونة مكسورة؛ لأن تلك الكلمة اسم فاعل كما لا يخفى.

• مراتب السجع:

أحسن السجع ما تساوت قرائنه كما فى قوله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٨- ٣٠].

ويليه فى الحسن ما طالت قرينته الثانية كما فى قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ١، ٢].

ثم ما طالت قرينته الثالثة كما فى قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠، ٣١].

وقد اجتمع طول القرينة الثانية، والثالثة فى قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ③﴾ [العصر: ١- ٣].

ولا يحسن أن تأتى قرينة قصيرة، بعد قرينة طويلة، لأن السجع إذا استوفى أمده من الأولى لطولها، ثم جاءت الثانية أقصر منها كثيرًا يكون كالشىء المبتور، ويبقى السامع كمن يريد الانتهاء إلى غاية، فيعثر دونها، ويفاجأ بما لم يكن فى الحسبان[1]، وقد تسامحوا فى قصر الثانية إذا كان قليلا كما فى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ① أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل: ١، ٢].

فإن الثانية ست كلمات، وقد جاءت بعد الأولى وهى تسع كلمات بهمزة الاستفهام، وحرف الجر، وهذا غير مضر إذ المضر إنما هو الزيادة بأكثر من الثلث، وأما الزيادة بالثلث فأقل فلا تضر[2].

• السجع بين الطول والقصر:

يكون السجع قصيرا ومتوسطا، وطويلا، فالقصير كما فى قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا ① فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ [المرسلات: ١، ٢].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ④ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ١- ٥].

والمتوسط كما فى قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ① وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١- ٢].

والطويل كما فى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٨، ١٢٩].

---

(١) الإيضاح ص٩٤ (البغية). وشروح التلخيص ٤/ ٤٥٠.

(٢) حاشية الدسوقى على مختصر السعد ٤/ ٤٥٠ شروح التلخيص.

ومنه قولـه تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ [الأنفال: ٤٣- ٤٤].

- **السجع فى الشعر:**

قال بعضهم: إن السجع ليس خاصا بالنثر، بل يأتى فى الشعر أيضا ويتمثل ذلك فى عدة صور:

إحداها: أن يجعل كل شطر من البيت فقرتين فى كل فقرة منهما سجعة كما فى قوله أبى تمام يمدح أبا العباس نصر بن بسام:

سأحمد نصرا ما حييت وإننى ... لأعلم أن قد جَلَّ نصرٌ عن الحمد
تجلى به رُشدى وأثْرَتْ به يَدِى ... وفَاضَ به ثِمْدِى وأوْرَى به زَنْدِى [(١)]

ففى البيت الثانى أربع سجعات، فى كل شطر منه اثنتان.

ثانيتها: أن يكون كل شطر فقرة مسجوعة كما فى قول الشاعر:

ومكارمُ أوليتها مُتَبَرِّعَا ... وجرائمُ ألغيتها متورعا [(٢)]

ومن ذلك قول أبى بكر بن حجة الحموى:

ومن أغاث البائس الملهوفا ... أغاثه الله إذا أخيفا
وقد علمت واللبيب يعلم ... بالطبع لا يرحم من لا يرحم

وقول أبى العتاهية:

حسبك مما تبتغيه القوتُ ... ما أكثر القوتَ لمن يموتُ
الفقر فيما جاوز الكفافا ... من اتقى الله رجا وخافا

(١) ثمدى بكسر الثاء فى الأصل الماء القليل، وقد استعير فى البيت للمال القليل وأورى صار ذا ورى أى نار، وهذا كناية عن الظفر بالمطلوب.
(٢) أوليتها: أعطيتها. ألغيتها: أبطلتها.

ثالثهـا: أن يكون على غيـر هاتين الصورتين كما فى قول الخنساء ترثى أخاها صخرا:

حامى الحقيقة محمودُ الخليقة مَهْـ ـدِىُّ الطريقةِ نَفَّاعٌ وضَرَّارُ

ومن قال بوجود السجع فى الشعر لا يشترط التقفية فى عروض البيت وضربه كما فى قول الخنساء المتقدم، وكما فى قول الآخر:

وَزَنْدَ نَدَى فَوَاضِلِه ورِىٌّ وَرَنْدُ رُبى فَضَائله نَضِيرُ[1]

فإن السجعة فيه جاءت فى (فواضله وفضائله) وهما فى حشو البيت لا فى عروضه وضربه[2].

• التشطير

ومن السجع فى الشعر ما يسمى التشطير، وهو أن يجعل الشاعر بيته شطرين، ثم يجعل كل شطر فقرتين مسجوعتين تخالف الأوليان منهما الأخريين فى التقفية كقول أبى تمام:

تدبير معتصم بالله منتقم لله مرتغب فى الله مرتقب[3]

فقد جعل كل شطر فقرتين تخالف الأوليان منهما الأخريين فى التقفية، والسجعتان فى الشطر الأول مبنيتان على الميم، وفى الشطر الثانى مبنيتان على الباء.

ومثل قول البوصيرى فى بردته يمدح رسول الله ﷺ:

أكرم بِخَلْقِ نبى زانه خُلُق بالحسْنِ مشتملٌ بالبِشْر مُتَّسِمِ
كالزَّهْرِ فى تَرَفٍ والبدرُ فى شرفٍ والبحرُ فى كرمٍ والدهر فى هِمَمِ
كأنه وهو فردٌ فى جلالته فى عسكرٍ حين تلقاه وفى حَشَمِ

---

(١) الرند: نبات طيب الرائحة.

(٢) الإيضاح ص ٩٨ (البغية).

(٣) وصف الممدوح بأنه يعتصم بالله أى يتحصن به، ولا ينقم من أحد إلا لأجل حق الله، وأنه راغب فى رضوان الله، ومرتقب ثوابه خائف من عذابه.

فقد شطر البيت الثانى، وجعل كل شطر سجعتين مخالفتين لما فى الشطر الآخر.

التصريع:

ومنه التصريع وهو جعل العروض مقفاة تقفية الضرب كقول أبى فراس:

بأطراف المثقَّفَةِ العوالى ... تَفَرَّدْناَ بأوساط المعالى[1]

وقول أبى تمام:

السيف أصدق إنباء من الكتب ... فى حَدّه الحَدّ بين الجِدّ واللَّعِبِ

ومنه قول امرئ القيس:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى ... بصبح وما الإصباح منك بأمثل

وهو مما استحسن حتى إن أكثر الشعر صرع البيت الأول منه[2].

• السجع والقرآن:

تحرج بعض العلماء من إطلاق كلمة (سجع) على ما فى القرآن من فواصل مستدلين بقوله ﷺ **«أسجعا كسجع الجاهلية..»**؟

ويكون السجع فى الأصل هدير الحمام ونحوه، وينبغى فى نظرهم أن ينزه القرآن عن مثل هذه الألفاظ المستعارة من الطير ونحوها، وأجاز بعضهم تسمية فواصل القرآن أسجاعًا، لأن الرسول ﷺ إنما أنكر نوعًا خاصاً من أنواع السجع، هو سجع الكهان الذى ذاع صيته فى الجاهلية، وألفه الناس فى حياتهم آنذاك، ولو كره السجع عامة لقال أسجعا؟ ثم سكت، وكيف يذمه، وهو كثير فى كلامه ﷺ مثل قوله: **«أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»**[3].

---

(١) المثقفة: المقومة، والعوالى: الرماح، وأوساط المعالى: أفضلها.

(٢) الإيضاح ص ٩٩ (البغية).

(٣) انظر شرح عقود الجمان للسيوطى ص١٥٠. والصناعتين لأبى هلال العسكرى ص٢٨٦.

ومن العلماء الذين أجازوا تسمية فواصل القرآن أسجاعًا ابن سنان الخفاجى ـ رحمه الله ـ فقد ساق طرفا من أمثلته مثل قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور: ١- ٤].

وقوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝١ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝٢ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ [العاديات: ١- ٥].

وغير ذلك ثم قال «وهذا جائز أن يسمى سجعًا لأن فيه معنى السجع، ولا مانع فى الشرع يمنع من ذلك»[(١)].

ولا يخفى أن كلام العلماء إنما هو حول تسمية تلك الظاهرة سجعًا، أو فواصل، أما حقيقة السجع، ومسماه، فهى موجودة فى النظم القرآنى الجليل بكثرة تجل عن العد والحصر.

أما كون كلمة (سجع) مأخوذة من سجع الحمام أو غيره، فلا يقدح فى إطلاقها على ظاهرة أسلوبية فى القرآن، لأن هذا الإطلاق لا يغاير مثلا ـ إطلاق مصطلح الاستعارة على بيان القرآن فمن أجاز إطلاق مصطلح الاستعارة، فليس له أن يمتنع عن إطلاق مصطلح السجع، المهم أن حقيقة السجع زاهرة فى القرآن سواء سمى سجعًا أو فاصلة[(٢)].

- **السجع والحديث النبوى:**

معلوم أن رسول الله ﷺ أوتى جوامع الكلم، وبيانه أبلغ بيان بعد القرآن الكريم، وما ورد فى أحاديثه من سجع جاء دون تكلف، ومن غير قصد، وتَعَمّل فى الدعاء، وفى غيره، قال الإمام النووى ـ رحمه الله ـ فى قوله ﷺ **«اللهم آت نفسى تقواها، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها...»** قال: (هذا الحديث وغيره من الأدعية المسجوعة دليل لما قاله العلماء أن السجع المذموم فى الدعاء هو المتكلف فإنه يذهب الخشوع، والخضوع، والإخلاص، ويلهى عن الضراعة، والافتقار، وفراغ القلب...)[(٣)].

---

(١) سر الفصاحة ص١٧٢، ١٧٣.

(٢) التحبير للدكتور محمود توفيق محمد سعد ص٩٠.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٥/ ٥٦٩ - ٥٧٠ ط الشعب.

الموازنة

من المحسنات اللفظية الموازنة وهى أن تكون الفاصلتان متساويتين فى الوزن دون التقفية كقوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٥، ١٦].

فالفاصلتان وهما (مصفوفة ومبثوثة) متفقتان في الوزن مختلفان فى التقفية، لأن الأولى على الفاء، والثانية على الثاء ولانظر للتاء، لأنها تبدل هاء فى الوقف. والنمارق هى الوسائد، والزرابى البسط العراض الفاخرة.

ومثل قول الشاعر:

هو الشمس قدرًا والملوك كواكب هو البحر جودًا والكرام جداول

فإن (كواكب وجداول) متفقتان فى الوزن دون التقفية.

المماثلة

فإن كان ما فى إحدى الفقرتين، أو الشطرين من الألفاظ، أو أكثره مثل ما يقابله، فى الفقرة الأخرى، أو الشطر الآخر خص باسم المماثلة كقوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (١١٧) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الصافات: ١١٧، ١١٨].

فهى بمنزلة الترصيع فى السجع - كما علمت -.

فالكتاب يوازن الصراط، والمستبين يوازن المستقيم، بخلاف (آتيناهما وهديناهما) فهما مختلفان فى الوزن،وذلك مثال لما تساوى فيه جل الفقرتين.

ومثل ذلك فى اتفاق الجل قول أبى تمام..

مها الوحش إلا أن هاتا أوانس قنا الخط إلا أن تلك ذوابل

لاختلاف هاتا، وتلك فى الوزن.

ومثال الاتفاق فى الجميع قول البحترى من قصيدة له فى وصف مبارزة الفتح ابن خاقان للأسد.

فَأحْجَمَ لما لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْمَعًا وأقْدَمَ لما لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَهْرَبًا

فإن كل لفظ فى الشطر الأول موازن لما يقابله فى الشطر الثانى، ومعنى البيت أن هذا الأسد لما لم يجد فيك لقوتك مطمعًا فى تناولك؛ أحجم، ولما عرف أنه لا ينجو منك أقدم فإقدامه تسليم منه لنفسه لعلمه بعدم النجاة لا للشجاعة[1].

وهذا النوع وهو التساوى فى جميع الألفاظ أرفع منزلة من سابقه[2].

***

(١) انظر مواهب الفتاح، لابن يعقوب ٤/٤٥٩ شروح التلخيص.

(٢) المصدر نفسه،والموضع.

القلب

من المحسنات اللفظية القلب وهو أن يكون الكلام على صورة إذا قلبت حروفه لا تتغير قراءته، فيقرأ من آخره كما يقرأ من أوله.

ويكون فى النثر وفى الشعر، فمن الأول قوله تعالى ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ﴾ [يس: ٤٠] وقوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: ٣].

وقولهم: ساكب كاس، وأرض خضراء.

وقولهم:

قَلْعُ مَرْكبٍ بِبَكرٍ مُعَلَّق(١)

ومنه قول العماد الأصبهانى للقاضى الفاضل، وكان يمتطى صهوة جواده سِرْ فَلاَ كَبَابِكَ الفرسُ، وإجابة القاضى له على الفور: دَامَ عُلاَ العِماد.

ومن أقوال الحريرى التى جاءت على هذا النمط: سَكِّتْ كُلَّ مَنْ نَمَّ لَكَ تَكِسْ، أى تكن كَيِّسًا.

كبِّر رَجَاءَ أَجْرِ ربِّك، لَمْ أُجَامِلْ

ومن ذلك قولك رُمْحٌ أَحْمرَ، لَيْلٌ أَلْيَل(٢)

كل ذلك يقرأ من آخره كما يقرأ من أوله، ولا يضر مع القلب قصر الممدود، ومد المقصور، وتشديد المخفف، أو تخفيف المشدد، أو جعل الألف همزة، والهمزة ألفا، أو تبديل بعض الحركات والسكنات(٣).

ومن الثانى -أعنى الشعر- ما جاء فى قول القاضى الأرجانى:

---

(١) حاشية الدسوقى على مختصر السعد ٤/ ٤٦٠ شروح التلخيص.

(٢) روضة الفصاحة للثعالبى ص ٦٦.

(٣) شروح التلخيص ٤/ ٤٦٠ وما بعدها.

أُحِبُّ المرءَ ظاهره جميلُ لصاحبه وباطنه سليمُ
مودته تدوم لكل هول وهل كلٌّ مودتهُ تَدُومُ

فإن البيت الثانى يمكن أن يقرأ من آخره لأوله، كما يقرأ من أوله لآخره، ومعنى البيت أن صديقه وفى حين يعز الوفاء، ويتناكر الأخلاء.

وهناك نوع من القلب، هو قلب الكلمات كما فى قول الشاعر:

عَدَلُوا فما ظُلِمت لهم دُوَلٌ سَعِدوا فما زالت لهم نِعَمُ
بذلوا فما شَحَّتْ لهم شِيَمٌ رفعوا فما زَلَّتْ لهم قَدَمُ

وهو دعاء لهم، وثناء عليهم، فإذا قرئ من آخره، صار ذما لهم، وزراية عليهم، فيصير.

نِعَمٌ لهم زالتْ فما سعدوا دولٌ لهم ظُلِمتْ فما عدلوا
قَدَمٌ لهم زلّتْ رَفَعُوا شِيَمٌ لهم شَحّتْ فما بذلوا[1]

وأثر التكلف باد على معظم هذه الشواهد، وما جاء منه فى القرآن ليس مقصودًا، فلا يرد عليه ما يرد على من يتكلفه[2].

***

(١) معاهد التنصيص ٣/٢٩٨، ٢٩٩.
(٢) بغية الإيضاح ص١٠٠.

لزوم ما لا يلزم

وهو أن يجيء قبل حرف الروى أو ما فى معناه من الفاصلة ما ليس بلازم فى مذهب السجع، وينبغى أن يكون بعيدًا عن التكلف، والتمحل.

وقد جاء فى القرآن الكريم فى مواضع رائعة الحسن، والبهاء، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١، ٢٠٢].

وقوله: ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم: ٢، ٣].

وقوله: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ٩، ١٠].

ومنه فى الشعر قول الشاعر:

سأشكر عمرًا إن تراخت منيّتى ... أيادىَ لم تُمْنَنْ وإن هى جَلَّتِ
فتًى غيرُ محجوب الغنى عن صديقه ... ولا مظهرُ الشكوى إذا النَّعْلُ زَلَّتِ
رأى خَلَّتى من حيث يخفى مكانها ... فكانت قذَى عينيه حتى تَجلَّتِ(١)

فقد التزم الشاعر اللام المشددة، والفتحة قبلها فى أبياته.

وقول الآخر:

يقولون فى البستان للعين لذةٌ ... وفى الخمر والماء الذى غَيْرُ آسِنِ
إذا شئتَ أن تَلْقَى المحاسنَ كلَّها ... ففى وجه من تَهْوَى جَميعُ المَحَاسِنِ

فقد التزم الشاعر السين والألف قبلها، وذلك قبل حرف الروى.

وقد يكون ذلك فى غير الفاصلتين أيضًا، فيأتى فى الكلمات التى قبلها إضافة

---

(١) الخلة بفتح الخاء: الحاجة. تجلت: انكشفت. القذى: الرمد.

لما فى الفاصلتين كقول الحريرى: وما اشتار العسل من اختار الكسل، فقد التزم السين والفتحة قبلها فى الفاصلتين وكذلك التزم الألف والتاء المفتوحة قبلها فى (اشتار واختار) وهما ليستا فاصلتين.

والتزام مالا يلزم قد يكون فى الحرف والحركة معًا كما فى الأمثلة التى سبقت، وقد يكون فى الحرف وحده دون الحركة كما فى قول امرئ القيس:

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضعٍ ... فألهيتها عن ذى تمائم مُحْوِلِ
إذ ما بكى مِنْ خَلفها انحرفتْ له ... بِشِقٍّ وتحتى شِقُّهَا لم يُحَوَّلِ

فقد التزم الواو قبل الروى، لكنه لم يلتزم الحركة، لأن الواو فى الأول مكسورة، وفى الثانى مفتوحة.

ومن هذا القبيل فى القرآن قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ① وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١، ٢].

فالتزمت الميم قبل الراء، دون الحركة، لأن الميم مفتوحة فى (القمر) مكسورة فى (مستمر)..

وقد يأتى الالتزام فى الحركة دون الحرف، كقول ابن الرومى:

لِما تُوذنُ الدنيا به من صُرُوفها ... يكون بكاءُ الطفل ساعَةَ يُولَدُ
وإلاّ فما يبكيه منها وإنها ... لأوسعُ مما كان فيه وأرغَدُ
إذ أبصر الدنيا استهل كأنه ... بها سوف يلقى من أذاها يهدد

ومنه قول المعرى:

ضَحكْنَا وكان الضِّحكُ منا سفاهةً ... وحُقَّ لسكان البسيطة أن يبكوا
تحطمنا الأيامُ حتى كأننا ... زجاجٌ ولكن لا يعاد له سَبْكُ

وقد أغرم المعرى بهذا اللون من البديع، حتى صاغ فيه ديوانًا من الشعر مستقلاً عن ديوانه.

الفصل الثالث

السرقات الشعرية

- النسخ والانتحال.
- الإغارة أو المسخ.
- الإلمام أو السلخ.
- أضرب السرقة غير الظاهرة.

السرقات الشعرية

قد يتفق شاعران فى الغرض كالوصف بالشجاعة والإقدام، والجود والسخاء، والفطنة والذكاء، والبلادة والغباء، ومثل هذا لا يعد من السرقة؛ لأن هذه أمور متقررة فى نفوس الناس جميعًا ، متصورة فى عقولهم يشترك فيها الفصيح والعيى، والشاعر والمفحم، أو يتفقان فى وجه الدلالة على الغرض كوصف الرجل حال الحرب بالابتسام وسكون الجوارح، ورباطة الجأش، وقلة الفكر، كقول الشاعر:

كأن دنانيرًا على قَسَماتِهم وإن كان قد شَفَّ الوجوهَ لقاءُ

والقسمات الوجوه الحسنة[1] أى أن وجوههم تشرق لنا أثناء الحرب لشجاعتهم، وقوة عزائمهم، على حين تتغير وجوه غيرهم من هول تلك الحرب، لضعفهم، وخور عزائمهم.

وكذلك وصف الجواد بالتهلل عند ورود العفاة، والمحتاجين كما قال بعضهم:

تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذى أنت سائلهُ

ومثل ذلك وصف البخيل بالعبوس، والقطوب، وقلة البشر مع الوجد، والغنى، ووفرة المال، وكذلك الاشتراك فى تشبيه الشجاع بالأسد، والكريم بالبحر، والحسناء بالبدر كل ذلك لا يعد أخذًا، ولا سرقة؛ لأن تلك أمور استقرت فى نفوس الناس طرا، حتى استوى فيها عامتهم، وخاصتهم، فهم فيها سواء.

أما إذا كان وجه الدلالة على الغرض، لا ينال إلا بالفكر، ولا يصل إليه أحد إلا بالكد والكدح، ويطلب بالجد والاجتهاد، فهو مجال للسبق، وميدان للتفرد، والاختصاص، ومظنة أن يكون مادة سائغة للأخذ والسرقة، وهذه السرقة تكون ظاهرة، وتكون خفية.

---

(١) انظر أساس البلاغة للزمخشرى (قسم).

أقسام السرقة الظاهرة

تكون السرقة ظاهرة، وهي على ثلاثة أضرب:

أحدها: النسخ والانتحال: ومن معانى النسخ فى اللغة أن يزيل الشىء الشىء، ويحل محله، وكأن الآخذ أزال اسم من قال الشعر، ووضع اسم نفسه مكانه.

ويقال انتحل فلان شعر فلان، أو قول فلان إذا ادعى أنه قائله، وتنحله ادعاه لنفسه[1] وهو لغيره قال الأعشى فى الانتحال:

فكيف أنا وانتحالى القوا ... فى بعد المشيب كفى ذاك عارا

وتنحله مثله قال الفرزدق:

إذا ما قلتُ قافيةً شَرودًا ... تَنَحَّلها ابنُ حَمْرَاءِ العِجان[2]

وفى الاصطلاح أن يأخذ الشاعر معنى صاحبه، ولفظه كله، أو بعضه وهو مذموم، لأنه سرقة محضة، وسطو مكشوف.

فأخذ المعنى كله، واللفظ جميعه كما فى قول عبد الله بن الزبير عندما دخل على معاوية فأنشده قول معن بن أوس:

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته ... على طرف الهجران إن كان يعقل

ويركب حد السيف من أن تضيمه ... إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل[3]

فقال له معاوية لقد شعرت بعدى ولم يفارق عبد الله المجلس حتى دخل معن ابن أوس فأنشده لاميته التى أولها:

---

(١) انظر لسان العرب مادتى (نحل ونسخ).

(٢) ابن حمراء العجان الشاعر (البعيث) لأن أمه كانت أعجمية.

(٣) شفرة السيف: حده، يعنى أنه يركب الصعاب خوفًا من أن يلحقه ضيم وذل، مزحل: مصدر بمعنى الزحول والابتعاد.

وعبد الله بن الزبير بفتح الزاى وكسر الباء شاعر مشهور، وهو غير عبد الله بن الزبير بن العوام، البطل الإسلامى المعروف.

لَعَمْرُكَ مَا أدرى وإنى لأوجلُ　　　على أَيِّنَا تَعْدُو المنيةُ أولُ

وفيها البيتان المذكوران، فقال معاوية لابن الزبير ما هذا؟ فقال هو أخى من الرضاع، وأنا أحق بشعره:

وقد روى لأوس بن حجر، وزهير بن أبى سلمى هذا البيت:

إذا أنت لم تعرض عن الجَهْلِ والخَنَا　　　أصبْتَ حليما أو أصابك جاهلُ

والخنا الفحش.

وأخذ المعنى برمته وبعض اللفظ كما فى قول الأبيرد اليربوعى:

فتًى يشترى حُسن الثَّناء بماله　　　إذا السنةُ الشهباءُ أعوزها القطرُ (١)

وقول أبى نواس:

فَتًى يشترى حسن الثناء بماله　　　ويعلم أن الدائراتِ تدورُ (٢)

وكما فى قول القائل:

لَهْفِى على فتيةِ ذل الزمانُ لهم　　　فما يُصيبهم إلا بما شاءوا

وقول أبى نواس:

دارتْ على فتيةٍ ذَلّ الزمانُ لهم　　　فما يصيبهم إلا بما شاءوا

ومثل ذلك أن تبدل الكلمات كلها أو بعضها بما يرادفها كما يقال فى بيت الحطيئة:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها　　　واقعد فإنك أنت الطاعمُ الكاسى

ذر المآثر لا تذهب لمطلبها　　　واجلس فإنك أنت الآكل اللابس

وقول امرئ القيس:

وقوفًا بها صَحْبِى على مَطِيِّهمُ　　　يقولون لا تهلك أسًى وتجمل

(١) السنة الشبهاء: المجدبة: أعوزها القطر: يعنى احتاجت إلى القطر وهو المطر.

(٢) الدائرات: الدواهى، وتدور: أى يداولها الله بين الناس (فلا حزن يدوم ولا سرور).

وقول طرفة:

وقوفًا بها صحبى علىّ مطيهم ... يقـولون لا تهلك أسى وتجلد

وقول العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه:

وما الناسُ بالناس الذين عَهِدتَّهُم ... ولا الدارُ بالدار التى كنت تَعْلَمُ

وقول الفرزدق:

وما الناس بالناس الذين عهدتم ... ولا الدار بالدار التى كنت تَعْرِفُ

ومثل قول المتنبى:

لبسْنَ الوَشْىَ لا مُتجملات ... ولكنْ كَىْ يَصُنَّ به الجمالا

وقول الصاحب:

لبسنْ بُرود الوشى لا لتجمل ... ولكن لصون الحسن بين برود

ثانيها: الإغارة أو المسخ: وهو أخذ اللفظ كله مع تغيير نظمه، أو أخذ بعض اللفظ وهو ثلاثة أضرب:

أحدها: أن يكون الثانى أبلغ من الأول؛ لاختصاصه بحسن سبك، أو إيضاح، أو اختصار، أو زيادة معنى وذلك ممدوح مقبول كقول بشار بن برد:

من راقب الناس لم يَظْفَر بحاجته ... وفاز بالطيبات الفاتِكُ اللَّهِجُ[1]

وقول سلم الخاسر:

من راقب الناس مات غما ... وفاز باللذة الجسور

فإن بيت سلم أجود سبكا، وأخصر لفظًا ويسمى هذا حسن الاتباع.

حدث أبو معاذ النميرى قال لما قال بشار بيته (من راقب الناس إلخ) قيل له يا أبا معاذ قد قال (سلم) بيتًا هو أحسن، وأخف على الألسن من بيتك هذا قال وما هو؟ فأنشد بيت سلم هذا فقال بشار ذهب والله بيتنا...[2].

ومن هذا الضرب قول بعضهم:

(١) اللهج: الجرىء الشجاع الملازم على تحقيق مآربه.

(٢) انظر معاهد التنصيص، للعباسى ٤/٢٦- ٢٨.

خَلَقْنَا لهم فى كل عينٍ وحاجب بِسُمْر القَنَا والبيضِ عَيْنًا وحاجِبًا[(١)]

مع قول ابن نباتة السعدى:

خَلَقنا بأطراف القَنا فى ظهورهم عُيونا لها وقعُ السيوفِ حواجب[(٢)]

فبيت ابن نباتة أبلغ لاختصاصه بزيادة معنى، وهو الإشارة إلى انهزامهم حيث أوقع الطعن والضرب فى ظهورهم[(٣)] والمنتصرون الشجعان لا يقع الطعن إلا فى نحورهم.

ثانيها: أن يكون المأخوذ دون المأخوذ منه فى البلاغة، وهذا مذموم مردود كما فى قول أبى تمام من قصيدة يرثى فيها محمد بن حميد:

هَيهات لا يأتى الزمانُ بمثله إن الزمان بمثله لَبخيلُ

وقول المتنبى من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار:

أعدى الزمانَ سخاؤُه فسخا به ولقد يكون به الزمانُ بخيلا

فإن الشطر الثانى من بيت أبى تمام، أحسن سبكًا من الشطر الثانى فى بيت أبى الطيب المتنبى، لأن قوله (ولقد يكون) بلفظ المضارع لم يصب موقعه، لأن المعنى على الماضى، فعدل عنه إلى المضارع لأجل الوزن.

ومعنى البيت (أن الممدوح كان موجودًا سخيّاً، وكان الزمان بخيلاً بالممدوح على أى بإظهاره لى وهدايتى له، فلما أعدى سخاؤه الزمان سخا الزمان بذلك الممدوح على بضمى إليه وهدايتى له)[(٤)].

ثالثها: أن المأخوذ مثل المأخوذ منه، فيكون أبعد من الذم، والفضل للمتقدم كقول بشار:

---

(١) خلقنا: أى أوجدنا، والقنا: جمع قناة وهى الرمح، والبيض: جمع أبيض وهو السيف، وقد جعل أثر الرمح عينا لاستدارته، وأثر السيف حاجبًا لطوله على سبيل الاستعارة.

(٢) تقدير الشطر الثانى عيونا وقع السيوف حواجب لها، والمراد أثر وقعها. انظر بغية الإيضاح ص١١٥.

(٣) معاهد التنصيص ٤/ ٢٩.

(٤) حاشية الدسوقى على المختصر ٤/ ٤٨٨ شروح التلخيص.

يا قـوم أذنى لبـعض الحىّ عـاشـقـةٌ   والأذن تَعْشَقُ قـبل الـعـين أحـيـانًا
قـالوا بمن لا ترى تَهْذِى فـقلت لهم   الأذن كـالعـين تُوفّى القلبَ مـا كـانا

وقول ابن الشحنة الموصلى:

وإنى امــروٌ أحـبـبـتكـم لمكارمٍ   سـمعت بهـا والأذن كـالعين تعـشق

فقـوله (والأذن كـالعين تعـشق) مأخـوذ من قول بشـار، وهو مثله فى حـسن السبك، والمزية للسابق؛ لأنه الذى غاص على المعنى، وذلل الطريق لمن جاء بعده.

ومنه قول أبى تمام فى المدح:

لو حـــار مـرتادُ المنيــة لم يَـجِــدْ   إلا الفِــراقَ على النفـوس دلـيـلا(١)

وقول المتنبى:

لولا مـفارقةُ الأحـبـاب ما وجـدت   لهـــا المـنايا إلى أرواحـنا سُــبُــلا

فقـد تماثل البيتـان المأخوذ والمأخوذ منـه، والفضل لمن سبق، ومـثل ذلك قول القاضى الأرجانى:

لم يَـبْكِنِـى إلا حــديثُ فــراقـكم   لَـمَّـــا أسَــــرَّ به إلـىَّ مُــوَدّعِى
هـو ذلك الـدُّرُّ الـذى أودعــــتـم   فى مَـسْـمَـعِى ألقـيـتُـه من مَـدْمـعى

وقول الزمخشرى فى مرثية أستاذه:

وقــــائلة مــــا هذه الـدُّرَرُ التـى   تُساقطُهـا عيناك سِمْـطَيْنِ سِمْطين(٢)
فـقلت هو الـدُّرُّ الذى قـد حَـشَـا به   أبو مـضـــر أذنى تَسَـاقَطُ من عــينى

فإذا دل على السرقة، كـاتفاق الوزن والقافية قبح هذا الضرب، وكـان مذمومًا غاية الذم.

كقول أبى تمام:

---

(١) الارتياد: الطلب أى أن (المنية الطالبة للنفوس لو تحيرت فى الطريق إلى إهلاكها ولم يمكنها التوصل إليها لم يكن دليل عليها إلا الفراق) معاهد التنصيص. ٤/ ٥١.
(٢) السمط: هو الخيط مادام به اللؤلؤ؛ والمراد الدموع المتتابعة.

مـقـيم الـظن عنـدك والأمـانى وإن قَلِـقَتْ ركـابى فـى البـلاد

ولا سـافـرتُ فى الآفـاق إلا ومن جـدواك راحلـتى وزادى[1]

وقول المتنبى:

وإنى عـنك بعـد غـد لَغـادى وقلبى عن فنـائك غـيـرُ غـادى

مُحِبُّـك حيـثمـا اتجـهت ركـابى وضَـيْـفُكَ حيث كنتُ من البـلاد[2]

ثالثها: الإلمام أو السلخ: وهو أخذ المعنى وحده، وهو على ثلاثة أضرب:

أحدها: أن يكون المأخوذ أبلغ من المأخـوذ منه، فيكون ممدوحًـا مقبولاً كـقول البحترى:

تَصُـدُّ حَـيَـاءً أن تراك بأوجـه أتى الذنبَ عاصيهـا فَلِيمَ مُطيعها[3]

وقول المتنبى:

وجُـرْمٍ جَـرَّهُ سـفـهـاءُ قـومٍ وحل بغـيـر جـارمـه العـذابُ

فبيت المتنبى أحسن سبكًا، لأنه وصف مرتكب الجرم بالسفاهة، ولم يصف من حل به العذاب بالطاعة المنافية للمؤاخذة، وقد أوخذ غير السفهاء بفعلهم، لأنهم لم يمنعوهم مـن هذا السفه وكـأنه اقتبس ذلك من قـوله تعالى ﴿**أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا**﴾ [الأعراف: ١٥٥].

ومثل قول الآخر:

ولسـت بنظّـار إلى جـانب الغنى إذا كـانت العليـاءُ فى جانـب الفقـر

مع قول أبى تمام:

يَصُـدُّ عن الدنـيـا إذا عنَّ سـؤدد ولو بَـرَزَتْ فى زِىّ عـذراءَ نـاهدِ

---

(١) الأمانى: جـمع أمنية وهى ما يبتـغى ويطلب: قلت: اضطربت فى السفر. الآفـاق: النواحى. الجدوى: العطية. الراحلة: من الإبل القوى على الأسفار والأحمال.

(٢) الغادى: المسافر فى الغداة وهى أول النهار، والفناء: الساحة أمام البيت.

(٣) الضمير فى (تصد) عائد إلى قبيلة تغلب، والضمير فى (تراك) للممدوح وهو المتوكل.

فبيت أبى تمام أخصر وأبلغ، لأن قوله (ولو برزت فى زى عذراء ناهد) زيادة حسنة، ولأن الصد عن الدنيا أبلغ من عدم النظر إليها.

وكقول أبى تمام:

هو الصنع إن يعجل فخير وإن يَرِثْ ... فَلَلرَّيْثُ فى بعض المواضع أنفع[1]

وقول المتنبى:

ومن الخير بُطْءُ سَيْبِك عنى ... أسْرَعُ السحب فى المَسِيرِ الجَهَامُ

فبيت المتنبى أبلغ؛ لاشتماله على زيادة بيان للمقصود، حيث ضرب المثل بالسحاب، فهى دعوى مدعومة بالدليل مشفوعة بالبينة.

ثانيها: أن يكون المأخوذ دون المأخوذ منه فى البلاغة، وهو مقبوح مذموم كقول بعض الأعراب:

وريحُها أطيبُ من طيبها ... والطِّيبُ فيه المسكُ والعنبرُ

مع قول بشار بن برد:

وإذا أدنيتَ منها بصلا ... غلب المسكُ على ريح البصل

فبيت بشار ضئيل القيمة بالنسبة إلى ما أخذ منه؛ لأنه جعل الغلبة على ريح البصل للمسك، لا لرائحتها، علاوة على ما فيه من عدم اللياقة فى إدناء البصل ممن يهوى، ويحب.

ثالثها: أن يكون المأخوذ ندا للمأخوذ منه، وضريبًا له، وصاحبه أبعد من الذم، والفضل للأول، كقول أبى زياد الأعرابى:

ولم يكُ أكثرَ الفتيان مالا ... ولكن كان أرحَبَهُم ذِراعًا[2]

مع قول أشجع السلمى:

وليس بأوسعهم فى الغنى ... ولكن مَعْرُوفَه أوسع

---

(١) الصنع: الإحسان. ويرث: يبطئ.

(٢) أرحبهم ذرعًا كناية عن كرمه وسخائه.

فقد استوى البيتان فى الفضل، وتشاكلا فى البلاغة ومثله قول بعضهم فى رثاء ولد له:

والصبرُ يُحْمَدُ فى المواطنِ كلِّها … إلا عليك فإنه مذمومُ

مع قول أبى تمام:

وقد كان يدعى لابسُ الصبر حازما … فأصبح يُدْعَى حازمًا حين يَجْزَعُ

ومن هذا الضرب قول بكر بن النطاح:

كأنك عند الكَرِّ فى حَوْمَة الوغى … تَفِرُّ من الصف الذى من ورائكا

مع قول المتنبى:

فكأنه والطعنُ من قُدَّامِه … مُتَخَوِّفٌ من خَلْفِه أن يُطعَنا

فكل منهما يصف صاحبه بأنه مقدام شجاع، يخترق الصفوف ويمعن فيها، كأنه يسرع خوفًا من شىء يلاحقه، ويطارده.

***

أضرب السرقة غير الظاهرة

تأتى السرقة غير الظاهرة على عدة أضرب:

أحدها: تشابه معنى الأول، ومعنى الثانى، كقول الطرماح:

لقد زادنى حبّاً لنفسىَ أننى بغيضٌ إلى كل امرئٍ غيرِ طائل

وقول المتنبى:

وإذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادةُ لى بأنّىَ كاملُ

فإن ذم الإنسان الناقص للمتنبى، كبغض من هو غير طائل، وشهادة ذم الناقص المتنبى، كزيادة حب الطرماح لنفسه.

ومنه قول جرير:

فلا يمنْعك من أرَبٍ لحاهم سواءٌ ذو العمامة والخمار

مع قول المتنبى يمدح سيف الدول ويذم بنى كلاب:

ومن فى كفه منهم قناةٌ كمن فى كفه منهم خِضَابُ

فكل من البيتين يدل على عدم المبالاة بهؤلاء الرجال، لأنهم كالنساء فى الضعف، وخور العزيمة. وأخذ المتنبى من جرير خفى، والمعنى متشابه، فتعبير جرير عن الرجل بأنه ذو العمامة يعدل تعبير المتنبى عنه بمن فى كفه قناة، وتعبير جرير عن المرأة بأنها ذات الخمار كتعبير أبى الطيب عنها بكون الخضاب فى كفها[1].

ولا عبرة باختلاف الغرضين، فى المعنى المأخوذ، والمأخوذ عنه كأن يكون أحدهما نسيبًا والآخر مديحًا أو هجاء أو نحو ذلك؛ فإن الشاعر صاحب الحذاقة، الماهر فى صناعة الشعر إذا عمد إلى المعنى المختلس تحيل فى إخفائه فغير لفظه، وعدل به عن نوعه، وبدل وزنه وقافيته.

---

(١) انظر شروح التلخيص ٤/ ٤٩٧، ٤٩٨.

ثانيها: نقل معنى الأول إلى غير محله كقول البحترى:

سُلِبُـوا وأشـرقت الدمـاءُ عليـهمُ   مـحـمـرةً فكأنهم لـم يسلبـوا

أى جردوا من ثيابهم، وظهرت الدماء على أجسامهم حتى صارت بمنزلة الثياب عليهم.

وقد نقل المتنبى هذا المعنى إلى السيف فقال:

يَبسَ النجـيعُ عليـه وهو مُـجَـرَّدٌ   من غِـمْـده فكأنما هو مُـغْـمَـد

أى يبس الدم على السيف، وهو مسلول من غمده، فكساه وجلله، حتى يعتقد من يراه أنه فى غمده، والواقع أنه فى غمد من دماء الأعداء. فقد نقل الثانى المعنى من الجرحى والقتلى إلى السيف.

ثالثها: أن يكون معنى الثانى أشمل من معنى الأول كقول جرير:

إذا غَـضِـبَـتْ عليك بَـنُو تميم   وجـدتَ الناسَ كـلَّهم غِـضـابًا

مع قول أبى نواس:

لـيس عـلـى الله بمسـتَـنْـكَـرٍ   أن يجـمعَ العـالَمَ فـى واحـدِ

ويعنى بالواحد الخليفة هارون الرشيد.

فإن بيت أبى نواس أشمل، وأوسع دائرة من بيت جرير، لأن العالم أشمل من الناس، لأنه يشمل الإنس والجن وغيرهم.

رابعًا: أن يقلب الثانى معنى الأول إلى ضده كقول أبى الشيص:

أجـد الملامـةَ فـى هواكَ لـذيذةً   حـبـا لذكـرك فلْيَلُـمنى الـلُّوَّمُ

فقد قلبه المتنبى:

أأُحِـبُّـه وأُحِبُّ فـيـه مَـلامـةً   إن الملامـةَ فـيـه من أعـدائه

فالمعنى فى بيت المتنبى عكس المعنى فى بيت أبى الشيص ومن هذا النوع قول أبى تمام:

ونَغْـمَـةُ مُـعْـتَـفٍ جـدواه أحلى   علـى أذنيــه من نَغَـم الســمـــاع

يريد أن يقـول إن صــوت الســائل، والطالب نوال ممدوحـه أحـلى وألذ على سمعه، من نغمات السماع، وألحان الغناء على حد قول البحترى:

نشــوانُ يطـرب للســؤال كــأنما   غنّـاهُ مــالك طيّـءٍ أو مــعــبــد

وقد قلب المتنبى هذا المعنى فى قوله:

والجــراحــاتُ عنده نغــمـــاتٌ   سُـبــقت قــبلَ سَـيْـبِـه بسـؤال

فهو يريد أن عـادة ممدوحه الإعطاء بغير سـؤال، فإن سبقت نغمـة من عفاته، وطالبى فـضله أثر ذلك فـيه، تأثيـر الجـرح فى المجروح. ولا يخـفى أن هذا من التشبيه المقلوب، والأصل تشبيه النغمات بالجراحات[1].

خامسها: أن يؤخذ بعض المعنى ويضاف إليه إضافة تحسنه كقول الأفوه الأودى:

وتـرى الـطيــــــر عـلى آثـارنـا   رأى عــين ثقــة أن سَــتُـمَـــارُ

مع قول أبى تمام:

وقـد ظللت عـقبـانُ أعـلامه ضُـحًى   بعــقـبـانِ طَيْــرٍ فى الدمــاء نواهلُ

أقــامت مع الرايات حــتى كــأنهــا   من الجـيش إلا أنهــا لـم تقــاتل

العقبـان بكسر العين جمع عـقاب بضمهـا، وتطلق على الطائر المعروف وعلى الراية الضخمة، وكان اسم راية رسول الله ﷺ العقاب[2].

يريد الشاعر أن يقـول إن أعلام الممدوح التى تخفق فى الأجـواء، ترفرف فوق جيشـه، وتصحبه إلى مـلاقاة الأعداء، قد ظللتهـا، وطارت فوقها جـماعات من عقبان الطير التى تؤمل فى أن تنهل من دماء الأعداء، وتشبع من أكل لحومهم.

فإن الأفـوه أفاد بقوله (رأى عـين) قرب الطير فى نظر الرائى، لأنهـا إذا كانت بعيدة لم تر، وقد قـربت من الجيش توقعًا للفريسة، وترقـبًا لمصارع الأعداء، وفى

(١) الإيضاح ص١٢٧ (البغية).

(٢) انظر لسان العرب (عقب).

هذا تأكيد للغرض المقصود، وهو وصفهم بالشجاعة والإقدام، وأفاد بقوله (ثقة أن ستمار) وثوق الطير واطمئنانها إلى ما ترجوه، وتطمح إليه من قتل الأعداء، والنهل من دمائهم، والشبع من لحومهم.

وقد ألم أبو تمام بمعنى قول الأفوه (رأى عين) فى قوله: أقامت مع الرايات إلخ فهذه الطير قريبة منهم، وزاد عليه قوله (فى الدماء نواهل) وقوله (حتى كأنها من الجيش إلا أنها لم تقاتل).

وهذه الزيادات حسنت قوله، وقد ترك بعض ما أتى به الأفوه وهو قوله (ثقة أن ستمار).

ويبدو أن قول الخطيب القزوينى: إن أبا تمام لم يلم بشىء مما قاله الأفوه يعنى به ما قاله فى البيت الأول على حدته[1]، وهذه الأنواع التى خفى فيها الأخذ، مقبولة كلها، بل إن منها ما يخرجه حسن التصرف، ودقة الصنع، من حيز -«هذا كله إذا علم أن الثانى أخذ من الأول، وهذا لا يعلم إلا أن يعلم أنه كان يحفظ قول الأول حين نظم قوله، أو بأن يخبر هو عن نفسه أنه أخذه منه، لجواز أن يكون الاتفاق من قبيل توارد الخواطر، أو مجيئه على سبيل الاتفاق من غير قصد إلى الأخذ والسرقة كما يحكى عن ابن ميادة أنه أنشد لنفسه:

مـفـيـدٌ ومِتْـلافٌ إذا مـا أتيتَـهُ　　　تهلَّلَ واهتـزَّ اهتـزاز المُهَنَّدِ

فقيل له أين يذهب بك؟ هذا للحطيئة فقال الآن علمت أنى شاعر إذ وافقته على قوله، ولم أسمعه»، وأضاف الخطيب قائلاً:

ولهذا لا ينبغى لأحد بت الحكم على شاعر بالسرقة ما لم يعلم الحال، وإلا فالذى ينبغى أن يقال: قال فلان كذا وقد سبقه إليه فلان فقال كذا، فيغتنم به فضيلة الصدق، ويسلم من دعوى العلم بالغيب، ونسبة النقص إلى الغير[2].

***

(٢) انظر حاشية الدسوقى على المختصر ٤/٥٠٥ شروح التلخيص.

(١) الإيضاح ص ١٢٩ (البغية)

الفصل الرابع

ما يتصل بالسرقات الشعرية

- الاقتباس.
- التضمين.
- العقد.
- الحل.
- التلميح.

ما يتصل بالسرقات الشعرية

مما يتصل بالسرقات الشعرية الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح.

الاقتباس

القبس فى اللغة النار، والقبس الشعلة من النار، واقتباسها الأخذ منها(١).

وهو فى الاصطلاح أن يضمن الكلام شيئًا من القرآن، أو الحديث لاعلى أنه منه؛ وسمى الإتيان بالقرآن أو الحديث على هذا الوجه المذكور اقتباسًا، أخذًا من اقتباس نور المصباح من نور القبس، وهو الشهاب، لأن القرآن والحديث أصل الأنوار العلمية(٢).

والاقتباس يكون فى النثر، ويكون فى الشعر:

نثر من القرآن:

من النثر المقتبس من القرآن الكريم قول الحريرى: فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب، حتى أنشد فأغرب، فإنه مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧] وقوله «أنا أنبئكم بتأويله، وأميز صحيح القول من عليله» مقتبس من قوله تعالى: ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ [يوسف: ٤٥].

ومنه قول ابن نباته الخطيب: «فيأيها الغفلة المطرقون، أما أنتم بهذا الحديث مصدقون مالكم لا تشفقون؟ فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون» فإنه مقتبس من قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣]، ومن روائع الاقتباس من القرآن فى النثر قول خطيب الثورة العرابية عبد الله النديم ـ رحمه الله ـ: لا حول ولا قوة إلا بالله، اشتبه المراقب

(١) انظر لسان العرب (قبس).

(٢) مواهب الفتاح، لابن يعقوب المغربى ٤/ ٥١٠ شروح التلخيص.

باللاَّه[1] واستبدل الحلو بالمر، وقدم الرقيق على الحر، وبيع الدر بالخزف، والخز بالخشف[2] وأظهر كل لئيم كبره، إن فى ذلك لعبرة، سمعًا سمعًا، فالوشاة وإن سعوا لا يعقلوا، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، وكيف تشترون منهم القار فى صفة العنبر، وقد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر، وكيف تسمع الأحباب لمن نهى منهم وزجر، ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر.

هذا طرف من اقتباساته القرآنية، وهى طويلة فارجع إليها إن شئت[3].

- **شعر فيه اقتباس من القرآن:**

من الشعر الذى فيه اقتباس من القرآن قول الشاعر:

إن كنت أزْمَعْتِ على هجرنا ... من غير ما جُرْمٍ فصبرٌ جميل

وإن تَبَدَّلْتِ بنا غيرَنا ... فحسبنا الله ونعم الوكيل

ففى البيت الأول اقتباس من قوله تعالى حكاية عن نبى الله يعقوب -عليه السلام- ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف:١٨] والصبر الجميل هو الذى لا شكوى معه إلا لله.

وأيضًا فى البيت الثانى اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣].

ومنه قول الآخر:

إذا رمتُ عنها سَلْوةً قال شافعٌ ... من الحب ميعادُ السُّلُوِّ المقابرُ

ستبقى لها فى مُضْمَرِ القلبِ والحشا ... سريرةُ وُدٍّ يوم تُبْلَى السرائر[4]

ففى البيت الثانى اقتباس من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق:٩].

---

(١) اللاهى.

(٢) الردىء من الصوف.

(٣) فى جواهر الأدب -أحمد الهاشمى ص٩١ الطبعة الثانية عشرة ١٩٢٠م مطبعة السعادة.

(٤) مضمر القلب: أى ما يضمر فيه. والحشا: ما انضمت عليه الضلوع -وقوله المقابر أى دخولها كناية عن الموت.

ومنه قول الشاعر:

لا تعاشر معشراً ضلوا الهدى ... فسواءٌ أقبلوا أو أدبروا

بدت البغضاءُ من أفواههم ... والذى يخفون منها أكبر

فإن فى البيت الثانى اقتباسًا من قوله تعالى: ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران: ١١٨].

● **نثر فيه اقتباس من الحديث:**

وذلك كقول الحريرى: «قلنا شاهت الوجوه، وقبح اللكع ومن يرجوه، ومعنى شاهت الوجوه قبحت، واللكع اللئيم».

وقد اقتبس (شاهت الوجوه) من قوله ﷺ يوم حنين: «شاهت الوجوه» وذلك عندما أخذ كفا من الحصباء، ورمى بها فى وجوه القوم.

ومثل قول الحريرى أيضًا: «وكتمان الفقر زهادة، وانتظار الفرج بالصبر عبادة» فقد اقتبس لفظ الحديث «وانتظار الفرج بالصبر عبادة».

● **شعر فيه اقتباس من الحديث:**

من ذلك قول أبى جعفر الغرناطى:

لاتعاد الناسَ فى أوطانهم ... قَلَّما يُرْعَى غريبُ الوطنْ

وإذا ما شئتَ عيشًا بينهم ... خالقْ الناسَ بخُلقُ حَسَنْ

فإن فى البيت الثانى اقتباسًا من قوله ﷺ فيما رواه أبو ذر - رضى الله عنه «اتق الله حيثما كنت وأَتْبِع السيئة الحسنة تَمْحُها، وخالق الناسَ بخلق حسن» رواه الترمذى[١] ومثله قول ابن عباس:

قال لى إن رقيبى ... سيئُ الخلق فداره

قلت دعنى وجْهك الجنـ ... ـةُ حُفت بالمكاره

(١) نقلاً عن شرح عقود الجمان للسيوطى ص١٦٧.

أى وجهك كالجنة حفت بالمكاره[1] وهو اقتباس من قوله ﷺ «حُفَّت الجنةُ بالمكاره».

والاقتباس منه ما لا ينقل فيه المقتبس عن معناه الأصلى إلى معنى آخر كالأمثلة التى ذكرت آنفًا، ومنه ما ينقل عن معناه الأصلى إلى معنى آخر كما فى قول ابن الرومى:

لئن أخطأت فى مدحيـ ـك ما أخطأت فى مَنْعى
لقد أنزلتُ حاجاتى بوادٍ غير ذى زَرْعِ

ففيه اقتباس من قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

ومعناه فى القرآن،وادى مكة الذى لا زرع فيه، وقد نقله ابن الرومى إلى جناب لا خير فيه، ولا نفع على سبيل الاستعارة.

ولا بأس بتغيير يسير فى اللفظ المقتبس، لأجل الوزن أو غيره كقول بعض المغاربة عند وفاة بعض أصحابه:

قد كان ما خفت أن يكونا إنا إلى الله راجعونا

فإن الاقتباس فيه من قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، وقد غير فيه الشاعر تغييرًا يسيرًا لاضير منه، ومثل قول عمر الخيام:

سبقت العالمين إلى المعالى بِصَائبِ فكرة وعُلُوِّ همَّه
ولاح بحكمتى نورُ الهُدَى فى ليال للضلالة مُدْلَهِمَّه
يريدُ الجاهلون لِيُطْفِئُوه ويأبى اللهُ إلا أن يُتِمَّه

ففى البيت الأخير اقتباس من قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

---

(١) وجهك مبتدأ مشبه، الجنة خبر مشبه به فكما أن الجنة لا يصل إليها إلا من تحمل مشاق التكاليف، كذلك من طلب وجه محبوبه يتحمل فى سبيله غلظة الرقباء، وخشونة طباعهم.

وفى هذا الاقتباس تغيير يسير أيضًا، فإذا كثر التغيير، فقد خرج من ربقة الاقتباس.

وفى خاتمة الحديث عن الاقتباس، أشير إلى أن الإمام السيوطى - رحمه الله - أغرم ببيان حكم الاقتباس شرعًا، ومجمل قوله:[1] أنه جائز فى الخطب والوعظ، ومباح إذا كان فى الغزل والقصص، والرسائل، ومردود إذا كان فى الهزل والمجون كقول بعضهم:

أوحَى إلى عُشّاقه طَرْفُه (هيهات هيهات لما توعدون)

وردْفُهُ ينطق من خلفه (لمثل هذا فليعمل العاملون)

***

(١) شرح عقود الجمان ص ١٦٨.

التضمين

هو أن يضمن الشعر شيئًا من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورًا عند البلغاء.

وواضح من هذا التعريف أن النثر لا تضمين فيه، لأن تضمينه سهل ميسور، لا إبداع فيه مثل الشعر الذى يحتاج تضمينه إلى حذق ومهارة، ودربة واقتدار.

وقد يضمن الشعر بيتًا أو أكثر، أو شطرًا من البيت أو أقل منه.

- **التضمين ببيت:**

من التضمين ببيت قول ابن التلميذ الطبيب النصرانى:

كانت بُلَهْنِيَةُ الشبيبة سكرةً ... فصحوت واستبدلتُ سِيرَةَ مُجْمِلِ

وقعدت أنتظر الفَنَاءَ كراكبٍ ... عرفَ المحل فبات دون المنزل[1]

فالبيت الثانى لمسلم بن الوليد، وقد أخذه الشاعر دون أن يشير إليه لشهرته لدى البلاغيين.

وقد ينبه على التضمين على الرغم من شهرته كما فى قول ابن العميد:

وصاحبًا كنتُ مغبوطًا بصحبته ... دَهْرًا فغادرنى فَرْدًا بلا سَكَنِ

هَبَّتْ له ريحُ إقبالٍ فطار بها ... نَحْوَ السرور وألجأنى إلى الحَزَنِ

كأنه كان مَطْوِيًا على إِحَنٍ ... ولم يكن فى ضروب الشعر أنشدنى

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا ... من كان يألفهم فى المنزل الخشن[2]

ومن الشواهد التى تروق وتعجب قول محمود بن الحسين كشاجم الكاتب:

يا خاضب الشيب والأيام تظهره ... هذا شبابٌ لَعَمْرُ الله مصنوعُ

---

(١) يقال هو فى بلهنية من عيشه أى فى رخاء، وسعة.

(٢) الإيضاح ص١٣٥ (البغية).

أذكـرتـنى قـول ذى لُبٍّ وتَجْـربةٍ   فى مـثـله لك تـأديب وتـقـريع
إن الجـديـد إذا مـا زيد فى خـلق   تبين الـناس أن الثـوب مـرقـوع[1]

وفيه تنبيه على أن البيت الأخير مأخوذ على سبيل التضمين.

وتضمين شطر من البيت كقول الحريرى على لسان أبى زيد حين عرضه للبيع:

علـى أنى شـأُنْشُـدُ عند بيـعى   أضـاعـونى وأىُّ فَـتًى أضـاعـوا[2]

وقد نبه على أن الشطر الثانى مضـمن وهو مأخوذ من قول (العرجى) وهو فى حبسه:

أضـاعـونى وأىُّ فَـتًى أضـاعـوا   ليـوم كـريهـةٍ وسِـدَادِ ثغـر
وصـبـر عند مـعـتـركِ المنايا   وقـد شـرعت أسنتـهـا بنحـرى

ومثله قول ابن خلكان:

قـد قلت لمـا أطْلَـعَتْ وَجَنَاتُـهُ   حـولَ الشـقـيق الغضّ روضـةَ آسِى
أعـذَارهُ السَّـارى العـجـولَ تَرَفُّـقًا   مـا فى وقـوفك سـاعـة من بَاسِ[3]

فإن الشطر الأخير مأخوذ من قول أبى تمام:

مـا فى وقـوفك سـاعـة من باس   تَقْـضِـى حـقـوقَ الأرْبُعِ الأدراس

ومن تضمين شطر فى أبيات متتابعة دون الإشارة إليه لشهـرته ما ذكره صاحب العمدة، وظنه للصولى قوله:[4]

خلقـت على باب الأمـيـر كـأننى   قـفـانبك من ذكـرى حـبيب ومنزل
إذا جئت أشكو طولَ ضـيقٍ وفَـاقَـةٍ   يقـولون لا تهلـك أسى وتَجَـمَّلِ

---

(١) العمدة لابن رشيق ٢/ ٨٤.

(٢) أى اسم استفهام مفعول لأضاعوا (مقدم).

(٣) الوجنات: جمع وجنة، ما ارتفع من الخدين. والشقيق: ورد أحمد مستعار للخد. والآس: الزيحان وهو مستعار للعذار وهو الشعر الذى يحاذى أذن حبيبه، والباس: الحرج مخفف بأس.

(٤) العمدة ٢/ ٨٦.

ففاضت دموع العين من سُوءِ رَدّهم   على النحر حتى بل دمعى محملى

لقد طال تَرْدادى وقَصْدِى إليكم   فهل عند رَسْمٍ دارسٍ من مُعَوَّل

ولم ينبه الشاعر على هذا التضمين، لأنه أشهر من نار على علم، فهو من معلقة امرئ القيس.

وتضمين جزء من شطر كقول الشاعر:

كُنَّا معًا أمسِ فى بُؤْسٍ نُكابده   والعينُ والقلبُ منا فى أذًى وقَذَى[1]

والآنَ أقبلت الدنيا عليك بما   تَهْوَى فلا تنسنى إن الكرام إذا

فقوله (إن الكرام إذا) بعض من قول أبى تمام الذى تقدم ذكره قريبًا.

إن الكرام إذا..... (البيت)

ولا بد من تقدير باقى البيت ليكتمل معناه، وتستوفى إذا الشرطية شرطها وجوابها.

وتضمين ما دون البيت -كما قال الخطيب -ضربان:

أحدهما: أن يتم المعنى دون حاجة إلى تقدير -كما سبق فى قول الحريرى وغيره.

الثانى: أن يحتاج إلى تقدير، لأن المعنى غير تام، كما فى قول الشاعر الآنف الذكر (. . . إن الكرام إذا).

وأحسن وجوه التضمين أن يزيد المضمن فى كلامه نكتة، لا توجد فى الأصل كالتورية والتشبيه كما فى قول ابن أبى الإصبع:

إذا الوهْمُ أبدى لى لَماها وثَغْرَها   تَذَكَّرْتُ ما بين العُذَيْبِ وبَارِق

ويذكرنى من قَدِها ومَدَامعى   مَجَرَّ عوالينا ومَجْرَى السوابق[2]

---

(١) نكابده: نقاسيه.

(٢) اللمى: سمرة الشفتين، وهى صفة محببة عندهم، والوهم: الخيال. والثغر: مقدم الأسنان. مجر عوالينا: أى جرها والعوالى الرماح، ومجرى السوابق: أى جرى الخيل السوابق.

فقد ضمن بيتيه قول المتنبى:

تذكرت ما بين العُذَيْبِ وبارقٍ   مجر عوالينا ومجرى السوابق

فقد أراد المتنبى بالعذيب وبارق موضعين بظاهر الكوفة، وأراد ابن أبى الإصبع بالعذيب الشفة تصغير عذب، وبالبارق الثغر، لأنه يشبه البرق، وما بينهما هو الريق على سبيل التورية لأن المعنى القريب (لما بينهما) مكان قرب الكوفة، والمعنى البعيد ما بين الشفة والثغر -وهو مقدم الأسنان، وهو المراد، وقد زاد ابن أبى الإصبع هذه التورية، وزاد أيضًا تشبيه تبختر قدها بتمايل الرمح، وتتابع دموعه بجريان الخيل السوابق[1] وهو تشبيه ضمنى.

ولا يضر فى التضمين تغيير يسير كقول بعض المتأخرين فى يهودى به داء الثعلب متهكمًا:

أقول لمعشر غلطوا وغضوا   من الشيخ الكريم وأنكروهُ

هو ابن جلا وطلاع الثَّنَايا   متى يَضَعِ العمامةَ تعرفوه

فقد غير البيت الثانى من التكلم إلى الغيبة، فإن أصل البيت:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا   متى أضع العمامة تعرفونى

وهو معروف مشهور.

وقد يسمى تضمين البيت فما زاد استعانة، لأن الشاعر استعان بشعر غيره، ويسمى تضمين شطر البيت فما دونه رفوا وإيداعا، لأنه رفا شعره بشعر الغير، وأودعه إياه[2].

***

(١) انظر مختصر المعانى، للسعد ٤/٥١٩ شروح التلخيص.

(٢) انظر المطول ص٤٧٤. وشروح عقود الجمان ص١٧٠.

العقد

هو أن ينظم نثر لا على طريق الاقتباس، والمقصود من النثر ما كان قرآنًا أو حديثًا أو مثلاً أو غير ذلك، وقولهم لاعلى طريق الاقتباس معناه إن كان النثر قرآنًا أو حديثًا فنظمه إنما يكون عقدًا إذا غير تغييرًا كثيرًا، أو أشير إلى أنه من القرآن أو الحديث وإن كان غير القرآن والحديث، فنظمه عقد كيفما كان، إذ لا دخل فيه للاقتباس(١).

وسمى عقدًا لأنه كان نثرًا محلولاً فصار نظمًا معقودًا بالوزن فعقد القرآن كقول الشاعر:

أنلني بالذى استقرضت خطا ... وأشهدْ معشرًا قد شاهدوه

فإن الله خلاقُ البرايا ... عَنَت لجلال هَيْبَتِه الوُجُوه

يقول إذا تداينتم بدين ... إلى أجل مسمى فاكتبوه

وقد نبه على أنه من القرآن بقوله (فإن الله... يقول) وهو عقد لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

يقول أعطنى صكاً مكتوبًا بالقرض الذى اقترضته منى امتثالاً لأمر الله تعالى بكتابة الدين، والإشهاد عليه.

وعقد الحديث كقول الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ

عمدة الخير عندنا كلمات ... أربع قالهن خير البرية

اتق الشبهات وازهد ودع ما ... ليس يعنيك واعملن بنية

فقد عقد عدة أحاديث أولها قوله ﷺ «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات».. (الحديث).

---

(١) مختصر السعد ٤/٢٥١ شروح التلخيص.

وثانيهما: قوله «ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس» وثالثهما: قوله «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه» ورابعها: قوله «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى. . . (الحديث).

وعقد غير القرآن والحديث كقول أبى العتاهية:

ما بال من أوله نطفة　　وجيفة آخره يفخرُ

فقد عقد قول على بن أبى طالب - رضى الله عنه - ما لا بن آدم والفخر، وإنما أوله نطفة، وآخره جيفة.

وقوله:

كفا حزنًا بدفنك ثم أنى　　نفضت تراب قبرك عن يَدَيَّا
وكانت فى حياتك لى عظاتٌ　　وأنت اليومَ أوعظُ منك حيا

قالوا: إنه عقد قول بعض الحكماء عند موت الإسكندر كان الملك أمس أنطق منه اليوم، وهو اليوم أوعظ منه أمس.

ومنه قول بعضهم:

يا صاحب البغى إن البَغْىَ مَصْرَعَةٌ　　فاربع فخير فعال المرء أعدله
فلو بغى جبل يوما على جَبَل　　لانْدَكّ منه أعاليه وأسفله

فقد عقد قول ابن عباس رضى الله عنهما: لو بغى جبل على جبل لدك الباغى.

ومنه أيضًا قول الشاعر:

الْبَسْ جَديدك إنى لابسٌ خَلَقى　　ولا جَديدَ لمن لايلبس الخَلَقَا

فإنه عقد المثل لا جديد لمن لا خلق له، قالته عائشة -رضى الله عنها -وقد وهبت مالاً كثيراً ثم أمرت بثوب لها أن يرقع.

ومنه قول المتنبى:

من يَهُنْ يَسْهُل الهوانُ عليه ... ما لجرحٍ بميّتٍ إيلامُ

فقد عقد قول أرسطو النفس الذليلة لا تجد ألم الهوان، والنفس العزيزة يؤثر فيها يسير الكلام.

وقوله أيضًا:

ولم أر فى عيوب الناس شيئًا ... كنقص القادرين على التَّمَام

فإنه عقد قول أرسطو: أعجز الناس من قدر أن يزيل العجز عن نفسه فلم يفعل[1].

***

(١) انظر معاهد التنصيص: ٤/١٨٩، ١٩٠.

الحل

هو أن يجعل النظم نثرًا، وشرط كونه مقبولاً شيئان أحدهما: أن يكون سبكه مختارًا لا يتقاصر عن سبك أصله. والثانى: أن يكون حسن الموقع مستقراً فى محله غير قلق، وذلك كقول بعض المغاربة (فإنه لما قبحت فعلاته، وحنظلت نخلاته لم يزل سوء الظن يقتاده، ويصدق توهمه الذى يعتاده) فإنه حل لقول المتنبى:

إذا ساء فعلُ المرء ساءت ظنونُهُ　　　وصدَّقَ ما يعتاده من تَوَهُّمِ(١)

والبيت من قصيدة له قالها فى كافور الإخشيدى، يقول إن الإنسان إذا كانت أفعاله سيئة، ساءت ظنونه بالناس، لأنه يراهم بعين طبعه وعمله، وصدق ما تصوره له أوهامه فيهم.

ومعنى حنظلت نخلاته صارت حنظلاً قال بعضهم مفتخراً:

غَرَسْتُ غروسًا كنتُ أرجو لِقَاحَها　　　وآملُ يومًا أن تَطِيبَ جَنَاتُها

فإن أثْمَرَتْ لِي نِلتُ ما كنت آملاً　　　ولاذَنْبَ لى إنْ حَنظَلَتْ نَخَلاتها(٢)

ومثل قول ابن الأثير صاحب المثل السائر يصف قلم كاتب (فلا تحظى به دولة إلا فخرت على الدول، وغنيت عن الخيل والخول، وقالت أعلى الممالك ما يبنى على الأقلام، لا على الأسل) فإنه حل لقول المتنبى أيضًا:

أعلى الممالك ما يُبْنَى على الأسَلِ　　　والطعنُ عند محبيهن كالقبل

والأسل الرماح.

---

(١)الإيضاح ص١٤١ (البغية).

(٢) معاهد التنصيص ٤/ ١٩٣.

ومثل قول بعضهم فى وصف السيف:

(أورثه عشق الرقـاب نحولاً فبكى، والدمع مطر تزيـد به الخدود محولاً) فـهو حل لقول المتنبى كذلك.

فى الخـدِّ إن عَـزَمَ الخليطُ رحيـلاً مَطَـرٌ تزيد به الخـدودُ مُـحُـولا

والمطر مستعار للدموع.

***

التلميح

هو أن يشار إلى قصة أو شعر، أو مثل سائر من غير ذكره كقول أبى تمام:

فردت علينا الشمسُ والليلُ راغمٌ ... بشمس لهم من جانب الخِدْرِ تَطْلعُ
فوالله ما أدرى أأحلامُ نائم ... ألمت بنا أم كان فى الركْبِ يوشع[1]

فإنه أشار إلى قصة يوشع بن نون فتى موسى -عليهما السلام- واستيقافه الشمس؛ فإنه روى أنه قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس للغروب، خاف أن تغيب قبل فراغه منهم، ويدخل السبت، فلا يحل له قتالهم فيه، فدعا الله تعالى، فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم[2].

وكقول ابن المعتز:

أترى الجيرة الذين تداعوا ... عند سير الحبيب وقت الزوال
علموا أننى مقيمٌ وقلبى ... راحلٌ فيهم أمام الجمال
مثل صاع العزيز فى أرحل القو ... م لا يعلمون ما فى الرحال

فقد ألمح بقوله (صاع العزيز) إلى قصته المعروفة.

ومن الإشارة إلى الشعر قول بعضهم:

لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظى ... أرقّ وأحفى َمنك ساعةَ الكَرْبِ

فإنه ألمح إلى البيت المشهور.

المستجير بعمرو عند كُربَتِه ... كالمستجيرِ من الرَّمْضَاءِ بالنارِ

***

(١) الراغم الذليل استعير لليل.
(٢) الإيضاح ص١٤٣، ١٤٤ (البغية).

الفصل الخامس

مواضع التأنق فى الكلام

- حسن الابتداء.
- براعة الاستهلال.
- حسن التخلص.
- الاقتضاب.
- حسن الانتهاء.
- براعة المقطع.



مواضع التأنق فى الكلام

قال الخطيب فى الإيضاح ينبغى للمتكلم أن يتأنق فى ثلاثة مواضع من كلامه حتى يكون أعذب لفظًا، وأحسن سبكًا، وأصح معنى.

وهى الابتداء، والانتهاء، والتخلص.

حسن الابتداء

ما يبتدأ به الكلام هو أول ما يقرع السمع، ويصافح الأذن فإذا اشتمل على عذوبة اللفظ، وصحة المعنى، وجودة السبك، أقبل عليه السامع، وهشت له النفس، وانشرح له الصدر، وقد قال ابن رشيق «إن حسن الافتتاح داعية الانشراح، ومطية النجاح... وينبغى للشاعر أن يجود ابتداء شعره؛ فإنه أول ما يقرع السمع، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة، وليتجنب «ألا» و«خليلى» و«قد» فلا يستكثر منها فى ابتدائه فإنها من علامات الضعف والتكلان»، وليجعله حلوا سهلاً وفخمًا جزلاً»[1] فمن الابتداءات المختارة المونقة قول امرئ القيس فى مطلع معلقته:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخُول فَحَوْمَل

وقول النابغة الذبيانى:

كلينى لهم يا أميمةُ ناصبِ وليلٍ أقاسيه بطِيء الكواكبِ

ومن الابتداءات الرائعة قول أبى تمام يهنئ المعتصم بفتح عمورية مع أن المنجمين قد تنبأوا بأنها لن تفتح فى ذلك الوقت.

السيف أصدق إنباءً من الكُتُب فى حَدِّه الحَدُّ بين الجِدِّ واللعِبِ

وقول بعضهم:

زمُّوا الجِمَالَ فقل للعاذِلِ الجانى لا عَاصِمَ اليوم من مِدرَارِ أجفانى

---

(١) العمدة ١/٢١٧، ٢١٨.

وينبغى أن يجتنب ما يتطير به، أو يتشاءم منه؛ فقد قالوا إنه لما بنى المعتصم بالله قصره بالميدان، وجلس فيه، أنشده إسحاق الموصلى:

يا دارُ غيرك البِلَى ومَحَاك ... يا ليت شعرى ما الذى أبْلاك

فتطير المعتصم بهذا الابتداء وأمر بهدم القصر.

ومن أراد ذكر الديار فليقل مثل قول أشجع السلمى:

قصرٌ عليه تحية وسلامُ ... خَلَعَتْ عليه جَمَالَهَا الأيامُ

ومن الابتداءات التى جانبها التوفيق ما أنشده ذو الرمة أمام هشام بن عبد الملك فقال:

ما بالُ عينيك منها الماء ينسكبُ ... كأنها من كُلًى مَفْرِيَّةٍ سرب[1]

وكان بهشام حمرة فى جفون عينيه، فظن أنه يعرض به فقال بل عينك، وأمر بإخراجه.

***

(١) الكلى: جمع كلية أو كلوة، والسرب: السائل..

براعة الاستهلال

وأحسن الابتداءات ما يناسب المقصود من الكلام، ويومئ إلى الغرض الذى سيق الكلام لأجله، ويسمى ذلك: براعة استهلال؛ لأن المتكلم فهم غرضه من كلامه عندما رفع صوته، والاستهلال رفع الصوت[1].

كقول أبى تمام السابق:

السيف أصدق إنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

وقول بعضهم:

أبشرْ فقد جاءك السُّعُودُ أبادَ أعداءك المُبيدُ
لم يظفروا بالذى أرادوا بل يفعلُ اللهُ ما يريدُ

وقول حافظ إبراهيم فى تحية عام هجرى:

أطلَّ على الأكوان والخلقُ تنظُرُ هلالُ رآه المسلمون فَكَبَّروا

ومن المطالع المختارة قول أوس بن حجر:

أيتُها النفْسُ أجملى جَزَعًا إن الذى تَحذرين قد وَقَعا

وقول أبى تمام:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

ومن هذه الابتداءات قول الأديب الكبير مصطفى لطفى المنفلوطى:[2]

قُدومٌ ولكن لا أقولُ سَعيدُ ومُلْكٌ وإن طال المدى سَيَبِيدُ

---

(١) شرح عقود الجمان ص١٧٣.

(٢) قالها عقب عودة الخديوى عباس إلى القاهرة بعد أن طوف فى البلاد. انظر مجلة الهلال عدد يناير ١٩٧٣.

ومن هذه القصيدة قوله:

بَعُدتَ وثَغْرُ الناس بالبشر باسمٌ | وعدتَ وحزنٌ فى الفؤاد شَدِيدُ
تَمُرُّ بنا لا طَرْفَ نحوكَ ناظرٌ | ولا قلبٌ من تلك القلوب وَدُودُ

وقول شوقى فى رثاء إسماعيل صبرى:

أجلٌ وإن طال الزمانُ موافى | أخلى يديك من الخليل الوافى

وقول حافظ إبراهيم فى رثاء الشيخ محمد عبده:

سلامٌ على الإسلام بعد محمد | سلامٌ على أيامه النضرات
على الدين والدنيا على العِلْم والحِجا | على البر والتقوى على الحسنات
لقد كنت أخشى عَادِىَ الموتِ قبله | فأصبحتُ أخشى أن تَطُولَ حياتى

***

حسن التخلص

الموضع الثانى مما يتأنق فيه التخلص مما ابتدئ به الكلام من نسيب أو غيره -إلى المقصود من الكلام على وجه سهل يختلسه اختلاسًا رقيقًا بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول لشدة التلاؤم، وحسن الانسجام(١).

فمن ذلك قول زهير:

إن البـخـيلَ مَلُومٌ حـيث كـان ... ولكـن الكـريمَ على عِـلاَّتـه هَرِمُ

ومنه قول مسلم بن الوليد:

أَجِـدَّك مـا تـدرين أن ربَّ ليـلة ... كـأن دجـاها من قُـرُونـك تُنْشَـرُ

سـهـرت بهـا حتـى تجلت بغـرة ... كغـرة يَحْيَـى حين يُذْكَـرُ جعـفـر

فقد تخلص من الغزل إلى المديح(٢)، بعد أن جعل غرة الصبح كغرة الممدوح وهو جعفر بن يحيى البرمكى، ولا يخفى عليك أنه تشبيه مقلوب.

ومن التخلصات المختارة قول أبى تمام:

يقول فى قُـومسٍ قومى وقـد أخذت ... منا السُّرى وخُطَا الـمُـهْرِيّة القـودِ

أمطلـع الشـمس تبـغى أن تـؤم بنا ... فـقلـت كـلا ولكن مطـلع الجـود(٣)

فقد أحسن أبو تمام التخلص، بأن انتقل من مطلع الشمس إلى الممدوح بعد أن اعتبره مطلعًا للجود، والممدوح هو عبد الله بن طاهر.

ومن التخلص الحسن أيضًا قول المتنبى يمدح المغيث العجلى:

---

(١) شرح عقود الجمان ص١٧٣.

(٢) انظر التحرير والتحبير ص٤٣٥.

(٣) قومس بضم القاف: صقع بين خراسان وبلاد الجبل. السرى: السير بالليل. المهرية: الإبل المنسوبة إلى مهرة. القود: الطويلة الظهور والأعناق.

مـرتْ بـنا بين تِرْبَيْـهـا فـقلت لـهـا من أين جَـالَسَ هـذا الشـادنُ العـرَبَا

فاستضحكت ثم قالت كالمغيث يرى ليثَ الشَّرىَ وهو من عِجْلٍ إذا انتسبا[1]

فقد تخلص الشاعر من النسيب إلى المدح بهذا السؤال وجوابه وذلك فى البيتين معًا.

ومثله قول المتنبى أيضًا:

خليلـىَّ مـالِىَ لا أرى غـيرَ شـاعـرٍ فكم منهم الدعـوى ومنى القـصـائدُ

فـلا تعـجـبـا إن الـسـيـوف كـثـيـرةٌ ولكن سـيـفَ الدولة الـيـوم واحـدُ

فقد تخلص من الـفخر بأنه الشاعر الفـذ، المنفرد بقول الشعـر إلى مدح سيف الدولة الذى جعله أحد الأحدين، لا نظير له. فكلاهما فرد فى مجاله.

***

(١) تربيها: مثنى ترب وهو الصديق، أو من ولد معها، والشادن: ولد الظبية مستعار لمحبوبته.
كالمغيث: أى أنا كالمغيث. الشرى: طريق فى جبل سلمى كثيرة الأسود، وعجل: قبيلة المغيث.

الاقتضاب

وقـد ينقل من الفن الـذى سيـق له الكلام إلى مـا لا يوائمـه، وذلك يسـمى الاقـتضـاب،وهو مذهب العـرب الأولى - فى الأعم الأغلب - ومن يليهم من المخضرمين- كقول أبى تمام:

لو رأى الله أنّ فى الـشـيب خـيـراً　　جـاورتْه الأبـرارُ فى الـخُلد شـيـبـا
كلُّ يوم تـُبـدى صـروُف الليـالى　　خُلُقًـا من أبـى سـعـيـدٍ غـريـبـا

فقد انتـقل من الغزل إلى المدح دون تخلص، اقتضابا، والاقـتضاب يأتى بمعنى الاقتطاع، والارتجال.

***

حسن الانتهاء

الموضع الثالث الذى يتأنق فيه هو نهاية الكلام، لأنه آخر مايعيه السمع ويطبع فى النفس، فينبغى أن يكون فى قمة الجودة، وذروة الإحسان والإتقان وربما حفظ دون سائر الكلام كقول أبى نواس فى المأمون:

فبقيت للعلم الذى تَهْدى له وتقاعستْ عن يومك الأيامُ

وكذلك قوله:

وإنى جدير إذ بلغتك بالمُنَى وأنت بما أمَّلتُ منك جدير

فإن تُولنى منك الجميلَ فأهلهُ وإلا فإنى عاذرٌ وشكور

***

براعة المقطع

وأحسن الانتهاءات ما آذن بانتهاء الكلام، حتى لا يبقى فى النفس تشوف، وتطالل إلى كلام آخر كقول أبى العلاء المعرى:

بقيت بقاءَ الدهر يا كهفَ أهله وهذا دعاءٌ للبرية شاملُ

وقول المتنبى فى ختام إحدى قصائده:

فلاحَطّتْ لك الهيجاءُ سَرْجًا ولاذاقتْ لك الدنيا فراَقا

وكان العقاد مغرمًا بإنهاء قصائده بحكم عام مستخلص من فحوى القصيدة كلها، وهذا يشعر بأن المعانى التى ضمتها قصيدته قد انتهت ويتجلى أمامك هذا الفهم عندما تقرأ قصيدته عسكرى المرور يقول فيها:

متحكمٌ فى الراكبين وماله أبدًا ركوبَه
لهم المثوبة من بَنَا نكَ حين تأمر والعقوبه
مُرّ ما بدالك فى الطريق ورُضْ على مَهَلٍ شُعُوبه
أنا ثائرٌ أبدا وما فى ثورتى أبدًا صُعوبه
أنا راكب رجلى فلا أمرٌ على ولا ضريبه
وكذاك راكبُ رأسه فى هذه الدنيا الغريبه[1]

ومن براعة المقطع كما يتراءى لى قول حافظ إبراهيم فى ختام قصيدته الرائعة التى مطلعها:

كم ذا يُكابِدُ عاشقٌ ويلاقى فى حبِّ مِصْرَ كثيرةِ العشاق

قوله:

ربوا البناتِ على الفضيلة إنها فى الموقفين لهن خيرُ وثاق
وعليكم أن تَسْتَبِينَ بناتُكُم نورَ الهدَى وعلى الحياء الباقى

(١) ديوان عابر سبيل ص ٢٨.

هذا وجميع سور القرآن الكريم فى فواتحها وتخلصاتها وخواتمها واردة على أحسن الوجوه، وأبلغها، وأكملها من الفصاحة والبلاغة وصدق الله العظيم ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [فصلت: ٣].

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

***

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأشعار

الأبيات	القائل	الصفحة
وإذا ما رياح جودك هبت	البحترى	١٢٦
صار قول العذول فيها هباء		
كأن دنانيرا على قسماتهم		
وإن كان قد شف الوجوه لقاء	....	١٤٧
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم		
بهن فلول من قراع الكتائب	النابغة الذبيانى	١٧ - ٩٤
فأقسم لو أصبحت فى عز مالك		
وقدرته أعيني بما رمت مطلبى		
فتى شقيت أمواله بنواله		
كما شقيت بكر بأرماح تغلب	بكر بن النطاح	٥٠
أصون أديم وجهى عن أناس		
لقاء الموت عندهم الأديب		
ورب الشعر عندهم بغيض		
ولو وافى به لهم حبيب	سراج الدين الوراق	٥٨
ووراء تسدية الوشاح ملية		
بالحسن تملح فى القلوب وتعذب	البحترى	٦٠
أقلعت عن رشف الطلى		
واللثم فى ثغر الحبب	....	٦١
وقلت هذه راحة		
تسوق للقلب التعب		
وسيرك فينا سيرة عمرية		
فروحت عن قلب وفرجت من كرب	ابن سناء الملك	٦٢
وأظهرت فينا من سماتك سنة		
فأظهرت ذاك القرض من ذاك الندب		
إذا نزل السماء بأرض قوم		
رعيناه وإن كانوا غضابا	....	٦٤
فسقى الغضا والساكنيه وإن هم		
شبوه بين جوانح وقلوب	البحترى	٦٥

الأبيات	القائل	الصفحة
جـسـم نحـيـل وقلب دائمـا يجب	سعد الدين العربى	١١٥
وحق عـينك هذا بـعض مـا يجب		
وأهوى الذى أهوى له البدر ساجداً		
ألست ترى فى وجـهـه أثر التـرب	الأقسرانى	١١٥
يمـدون من أيـد عـواص عـواصم		
تصـول بأسـياف قـواض قـواضب	أبو تمام	١٢٠، ١٢٣
بيض الصفائح لا سود الصحائف فى		
مـتـونهـن جـلاء الشـك والريب	أبو تمام	١٢٢
يعـشى عن المجـد الغبى ولن ترى		
فى ســودد أربا لغـيـــر أريب	البحترى	١٢٥
وكل ذى غــيــبــة يئــوب		
وغـــائـب الموت لا يـئـــوب	عبيد بن الأبرص	١٢٨
ذوائب سـود كـالعنـاقـيـد أرسلت		
فـمن أجلها منـها النفـوس ذوائب	....	١٢٩
ضـرائب أبدعـتـهـا فى السـمـاح		
فـسنا نـرى لك فـيـهـا ضـريبـا	البحترى	١٢٩
تدبيـــر مـعــتــصم بالله منتــقم		
لله مـــرتــغب فى الله مـــرتـقب	أبو تمام	١٣٦
السـيف أصـدق إنبــاء من الكتب		
فى حـده الحـد بيـن الجـد واللعب	أبو تمام	١٣٧، ١٨١،
فـأحجم لما لم يجـد فـيك مطعمـا		١٨٣
وأقـدم لما لم يجـد عـنك مـهـربا	البحترى	١٤٠
خلقنا لهم فى كـل عين وحـاجب		
بسمـر القنا والبيض عـينا وحاجـبا	....	١٥١
خلقنـا بأطراف القنا فى ظهــورهم		
عيـونا لها وقـع السيوف حـواجب	ابن نباتة السعدى	١٥١
وجــرم جـره ســفــهــاء قـــوم		
وحل بغــيــر جـــارمـه العـــذاب	المتنبى	١٥٢

الأبيات	القائل	الصفحة
إذا ملك لم يكن ذاهبه فدعه فدولته ذاهبه	أبو الفتح البستى	١١٧
لجوب البلاد مع المتربه أحب إلى من المرتبه	الحريرى	١٢٢
سبقت العالمين إلى المعالى بصائب فكرة وعلو همه	عمر الخيام	١٦٦
متحكم فى الراكبين وما له أبدا ركوبه لهم المثوبة من بنا نك حين تأمر والعقوبه مر ما بدا لك فى الطريق ورض على مهل شعوبه أنا ثائر أبدا وما في ثورتى أبدا صعوبه أنا راكب رجلى فلا أمر على ولا ضريبه وكذاك راكب رأسه في هذه الدنيا الغريبه	عباس العقاد	١٨٩
من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج	بشار بن برد	١٥٠
وجهه غاية الجمال ولكن فعله غاية لكل قبيح	....	٣٦
مغرم بالثناء صب بكسب الـ مجد للسماح ارتياحا لا يذوق الإغفاء إلا رجاء أن يرى طيف مستميح رواحا	أبو طالب المأمونى	٩٠
علمتنى بهرجها الشبر عنها فهى مشكورة على التقبيح	السعيد بن سناء الملك	٩١

الأبيات	القائل	الصفحة
فقد سكنت إلى أنى وأنكم سنستجد خلاف الحالتين غدا	....	٧٦
أهلاً وسهلاً بالمشيب فإنه سمة العفيف وحلية الزهاد	....	٩١
نهبت من الأعمار مالو حويته لهنئت الدنيا بأنك خالد	المتنبى	٩٩
سأحمد نصراً ما حييت وإننى لأعلم أن قد جل نصر عن الحمد	أبو تمام	١٣٥
.... لما تؤذ الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد	ابن الرومى	١٤٤
.... وقوفا بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجلد	طرفة بن العبد	١٥٠
لبسن برود الوشى لا لتجمل ولكن لصون الحسن بين برود	الصاحب	١٥٠
مقيم الظن عندك والأمانى وإن قلقت ركابى فى البلاد ولا سافرت فى الآفاق إلا ومن جدواك راحلتى وزادى وإنى عنك بعد غد لغادى وقلبى عن فنائك غير غادى	أبو تمام	١٥٢
محبتك حيثما اتجهت ركابى وضيفك حيث كنت من البلاد	المتنبى	١٥٢
يصد عن الدنيا إذا عن سؤدد ولو برزت فى زى عذراء ناهد	أبو تمام	١٥٢

الأبيات	القائل	الصفحة
....		
ناحل الجسم ليس يعرف مذكا		
ن نعما وليس يعرف ضرا	أبو بكر الصولى	٣٦
فوا عجبا اتفقنا فناصح		
وفى ومطوى على الغى غادر	....	٣٧
فلا الجود يفنى المال والجد مقبل		
ولا البخل يبقى المال والجد مدبر	المتنبى	٣٨
هن البدور تغيرت لما رأت		
شعرات رأسى آذنت بتغير	النميرى الغرناطى	٣٩
كالقسى المعطفات بل الأسـ		
هم مبرية بل الأوتار	البحترى	٤١
يزيدك وجهه حسنا		
إذا ما زدته نظرا	....	٥٣
إن الليالى للأنام مناهل		
تطوى وتنشر دونها الأعمار	....	٥٦
فقصارهن مع الهموم طويلة		
وطوالهن مع السرور قصار		
فلما نأت عنا العشيرة كلها		
أنخنا فحالفنا السيوف على الدهر		
فما أسلمتنا عند يوم كريهة		
ولا نحن أغضينا الجفون على وتر	....	٦٠
قالوا أما فى جلق نزهة		
تنسيك من أنت به مغرى		
ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها	الحموى	٦٢
شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر	محمد بن وهيب	٦٩
وهبها كشىء لم يكن أو كنازح		
به الدار أو من غيبته المقابر	عمر بن أبى ربيعة	٧٢

الأبيات	القائل	الصفحة
ســـفــــرن بدورا وانتـــقــبن أهله ومـسن غـضـونــا والتـفتن جـآذرا	....	٧٣
توهــمـــه طـرفي فـــآلم خـــده فـصار مكـان الوهم من نظري أثر	النظام	٨٢
....	....	
ولو أن مـا بي من جـوى وصبـابة على جـمل لم يـدخل النار كـافـر	....	٨٤
ولو أن مـشـتـاقـا تكلف فـوق مـا في وســعــه لســعى إليك المنبـر	البحتري	٨٤
مـا شـئت لا مـــا شـئت الأقـدار فـاحكـم فـأنت الواحـد القـــهـار	ابن هانئ الأندلسي	٨٥
ياذا الذي بصـروف الـدهر غـيـرنا هل عـــاند الدهر إلا من لـه خطر	....	٨٧
....	....	
وعلى ضفاف النهرتحـ ت التـــوت ســاقـــيـــة تدور	هاشم الرفاعي	٩١
....		
ولا عيب فيها غير سحر جفونها وأحـبب بها سـحارة حـين تسحـر	ابن نباتة	٩٥
بالله يا ظبيات القاع قلن لن ليـلاي منكن أم لـيلى من البـشـر	....	١٠٥
والحسن يظهر في بيتين رونقه بيت من الشـعر أو بيت من الشـعـر	أبو العلاء المعري	١١٩
قسمت صروف الدهر بأسا ونائلا فـمــالك مـوتور وسـيــفك واتر	محمد بن وهيب	١٢٥
تمتع من شميم عرار المجد فـمـا بـعـد العـشـيــة من عـرار	....	١٢٨

الأبيات	القائل	الصفحة
وقد كانت البيض القواضب فى الوغى بواتر فهى الآن من بعده بتر	أبو تمام	١٣٠
لو اختصرتم من الإحسان زرتكم والعذب يهجر للإفراط فى الخصر	أبو العلاء المعرى	١٣٠
فدع الوعيد فما وعيدك ضائرى أطنين أجنحة الذباب يضير	....	
وزند ندى فواضله ورى ورند ربى فواضله نصير	....	١٣٦
حامى الحقيقة محمود الخليقة مه دى الطريقة نفاع وضرار	الخنساء	١٣٦
فكيف أنا وانتحال القوا فى بعد المشيب كفى ذاك عارا	الأعشى	١٤٨
فتى يشترى حسن الثناء بماله إذا السنة الشهباء أعوزها القطر	الأبيرد اليربوعى	١٤٩
فتى يشترى حسن الثناء بماله ويعلم أن الدائرات تدور	أبو نواس	١٤٩
من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور	سلم الخاسر	١٥٠
ولست بنظار إلى جانب الغنى إذا كانت العلياء فى جانب الفقر	....	١٥٢
وريحها أطيب من طيبها والطيب فيه المسك والعنبر	....	١٥٤
فلا يمنعك من أرب لحاهم سواء ذو العمامة والخمار	جرير	١٥٦
وترى الطير على آثارها رأى عين ثقة أن ستمار	الأفوه الأودى	١٥٨

الأبيات	القائل	الصفحة
إذا رمت عنهـا سـلوة قـال شـافع من الحب مـيـعـاد السلو المـقـابر	....	١٦٤
....		
أضـاعـونى وأى فـتى أضـاعـوا ليـوم كـريهـة وسـداد ثغـر	العرجى	٣٢
....		
كذا فليـجل الخطب وليفـدح الأمر فليس لعـين لم يفض مـاؤها عـذر	أبو تمام	١٨٥
أجـدك مـا تدرين أن رب لـيلة كـأن دجـاها من قـرونك تـنشـر	مسلم بن الوليد	١٨٥
وإنى جـدير إذ بلغـتك بالمـنى وأنت بمـا أملت منـك جـدير	أبو نواس	١٨٨
....		
وخـيل يطـابقن بـالدار عـين طبـاق الكلاب يطأن الـهـراسـا	النابغة الجعدى	٢٥
سـاق يـرينى قـلبـه قـسـوة وكل سـاق قـلبـه قـاس	ابن نباتة	١٢٣
مـا فى وقـوفك سـاعـة من باس تقـضى حـقـوق الأربع الأدراس	أبو تمام	١٦٩
قالوا اقـترح شـيئًـا نجد لك طبـخه قلت اطبـخوا لى جـبـة وقمـيصـا	أبو الرقعمق	٤٦
لولا الـتطيـر بالخـلاف وأنـهم قـالوا مـريض لا يـعـود مـريضـا	ابن الربيع	٦٣
....		
إذا لم تسـتطع شـيـئًـا فـدعـه وجـاوزه إلى مـا تسـتطـيع	عمرو بن معديكرب	١٦ - ٤٤
له منـظر فى العـين أبيـض ناصع ولكنـه فى القلب أسـود أسـفع	أبو تمام	٣٤ - ٣٥

الأبيات	القائل	الصفحة
حتى أقام على أرباض خرشنة تشقى الروم والصلبان والبيع	المتنبى	٧٥
كأن السحاب الغرغيين تحتها حبيبا فما ترقا لهن مدامع	....	٩٢
سريع إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعى الندى بسريع	....	١٢٧
ممنعة منعمة رداح يكلف لفظها الطير والوقوعا	المتنبى	١٢٢
ولم يحفظ مضاع المجد شىء من الأشياء كالمال المضاع	أبو تمام	١٢٨
ومكارم أوليتها متبرعا وجرائم ألفيتها متورعا	....	١٣٥
هو الصنع أن يعجل فخير وأن يرث فللريث فى بعض المواضع أنفع	أبو تمام	١٥٤
ولم يك أكثر الفتيان مالا ولكن كان أرحبهم ذراعا	ابن زياد الأعرابى	١٥٤
وليس بأوسعهم فى الغنى ولكن معروفة أوسع	أشجع السلمى	١٥٤
وقد كان يدعى لابس الصبر حازمًا فأصبح يدعى حازمًا حين يجزع	أبو تمام	١٥٥
ونغمة معتف جدواه أحلى على أذنيه من نغم السماع	أبو تمام	١٥٨
يا خاضب الشيب والأيام تظهره هذا شباب لعمر الله مصنوع	محمود بن الحسين	١٦٨
....		
فردت علينا الشمس والليل راغم بشمس من جانب الخدر تطلع	أبو تمام	١٧٧

الأبيات	القائل	الصفحة
وهو الخطب عندى أننى رجل لاق من الدهر ما كل امرئ لاق	البارودى	١٢٩
وإنى امرؤ أحببتكم لمكارم سمعت بها والأذن كالعين تعشق	ابن الشجنة الموصلى	١٥٢
إذا الوهم أبدى لى لما ها وثغرها تذكرت ما بين العذيب وبارق	ابن أبى الإصبع	١٧٠
تذكرت ما بين العذيب وبارق مجر عوالينا ومجرى السوابق	المتنبى	١٧١
البس جديرك إنى لابس خلقى ولا جديد لمن لا يلبس الخلقا	....	١٧٣
ربوا البنات على المكارم إنها فى الموقفين لهن خير وثاق	حافظ إبراهيم	١٨٩
....		
فلا حطت لك الهيجاء سرجا ولا ذاقت لك الدنيا فراقا	المتنبى	١٨٩
وإنما الشعر لب المرء يعرضه على المجالس إن كيسا وإن حمقا	حسان بن ثابت	١٨١
ومولع بفخاخ يمدها وشباك	------	٥٩
قالت لى العين ماذا يصيد قلت كركى	-----	
أما والله لولا خوف سخطك لهان على ما ألقى برهطك	ابن سناء الملك	٦٢
من قاس جدواك يوما بالسحب أخطأ مدحك	----- -----	٧٠
السحب تعطى وتبكى وأنت تعطى وتضحك	------	٧٠

الأبيات	القائل	الصفحة
أرقيك أرقيك باسم الله أرقيكا من بخل نفس لعل الله يشفيكا	أبو العتاهية	١٠٣
....		
كأنك عند الكر فى حومة الوغى تفر من الصف الذى من ورائكا	بكر بن النطاح	١٥٥
يادار غيرك البلى ومحاك ياليت شعرى ما الذى أبلاك	إسحاق الموصلى	١٨٢
مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل	امرؤ القيس	١٦
وإنا لقوم ما نرى القتل سبة إذا ما رأته عامر وسلول	السموءل بن عاديا	١٦
ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل	الأعشى	١٧
يا خير من يركب المطى ولا يشرب كأسا بكف من بخلا	الأعشى	١٧
وإذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل	المتنبى	٢٦، ١٥٦
سلى إن جهلت الناس عنا وعنهم فليس سواء عالم وجهول	السموءل بن عاديا	٢٧
بساهم الوجه لم تقطع أباجله يصان وهو ليوم الروع مبذول	طفيل الغنوى	٢٩
تنام عينى وعين النجم ساهرة وتستحيل وصبغ الليل لم يحل	الطغرائى	٣٠، ١٣٩
مها الوحش إلا أن هاتا أوانس قنا الخط إلا أن تلك ذوابل	أبو تمام	٣٠
وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول	السموءل	٣١

الأبيات	القائل	الصفحة
إن ترد عـلم حـــالـهم عن يـقين فـــألقـــهـم يوم قـائـل أو نزال		
تلق بيض الوجـوه سود مثار النقـ ـع خـضر الأكـناف حمـر النصـال	ابن حيوس	٣٢
ما أحسن الدين والدنيا إذا اجـتمعا وأقبح الكفــر والإفـلاس بالرجل	أبو دلامة	٣٧ - ٣٩
فـــإذا حـــاربوا أذلـوا عـــزيزا وإذا ســـالموا أعـــزوا ذليـــلا	البحترى	٣٨
من مــبـلغ أفناء يعــرب كـلهــا أنى بـنيت الجـــار قـــبل المنزل	أبو تمام	٤٧
وإنا لقـوم مـا نـرى القـتل سـبـة إذا مـــا رأته عـــامــر وسـلول يقــرب حـب الموت آجــالنـا لنا وتكـره آجــــالهم فــــتـطول	السموءل	٥٠
أليس قـليـــلا نـظرة إن نظرتـهـــا إليـك وكـــلا لـيس مـنك قليـل	------	٥٧
كـأن كـانون أهدى مـن مـلابسه لشــــهــــر تموز أنواعـــا مـن الحلل أو لغـزالة من طـول المدى خـرفت فـمـا تفــرق بين الجـدى والحـمـل	القاضى عياض	٦١
فـما هو إلا الوحـى أوحد مـرهف تميل ظـبـــاه أخـدعـى كل مـــائل فـــهـــذا دواء الداء من كل عـــالم وهذا دواء الـداء من كل جـــاهل	أبو تمام	٧١
بدت قــمـرا ومـالت خــوط بان وفـــاحت عنبـــرا وزنت غـــزالا	------	٧٣

الأبيات	القائل	الصفحة
وشوهاء تعدو بى إلى صارخ الوغى		
بمستلئم مثل الفنيق المرحل	------	٧٨
لا خيل عندك تهديها ولا مال		
فليسعد النطق إن لم تسعد الحال	المتنبى	٨٠
فعادى عداء بين ثور ونعجة		
دراكا فلم ينضح بماء فيغسل	امرؤ القيس	٨٢
ونكرم جارنا ما دام فينا		
ونتبعه الكرامة حيث مالا	عمر بن الأهتم	٨٣
هو البحر إلا أنه البحر زاخرا		
سوى أنه الضرغام لكنه الوبل	بديع الدين الهمذانى	٩٦
أيقتلنى والمشرفى مضاجعى		
ومسنونة زرق كأنياب أغوال	امرؤ القيس	١٠٣
وقد علمت سلمى وإن كان بعلها		
بأن الفتى يهذى وليس بفعال	امرؤ القيس	١٠٣
أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد		
وأنت الذى ترجو حباءك وائل	الأعشى	١٠٨
وسميته يحى ليحيا فلم يكن		
إلى رد أمر الله فيه سبيل		١١٣
حدق الآجال آجال		
والهوى للمرء قتال	....	١١٤
وكل غنى يتيه به غنى		
فمرتجع بموت أو زوال	أبو الفتح	
وهب جدى طوى لى الأرض طرا		١١٨
أليس الموت يزوى ما زوى لى	البستى	
الجد فى الجد والحرمان فى الكسل		
فانصب تصب عن قريب غاية الأمل	....	١٢٠

الأبيات	القائل	الصفحة
لولا المشـقـة سـاد النـاس كلهم الجـود يـفـقـر والإقـدام قـتـال	المتنبى	١٢٠
وكنا مـتى يغـزو النبى قـبـيلة نصل جـانـبيـه بـالقنا والقـنابل	حسان بن ثابت	١٢١
لاح أنـوار الـهـــدى من كــفـه فـى كل حـــال	....	١٢٣
سل سـبـيـلا إلى راحـة النفس براح كـأنهـا سلـسـبـيـل	....	١٢٩
وإذا البـلابل أفـصـحـت بلغـاتهـا فـانف البـلابل بـاحـتـسـاء بلابل	....	١٢٩
ألا إيهـا الـليل الطويـل ألا انجلى بصـبح ومـا الإصبـاح منك بأمـثل	امرؤ القيس	١٣٧
هو الشـمس قدرا والملوك كـواكب هو البـحـر جـودا والكرام جـداول	....	١٣٩
فمـثلك حبلى قـد طرقت ومرضع فـألهـيـتهـا عن ذى تمائم مـحـول	امرؤ القيس	١٤٤
إذا أنت لم تنصـف أخـاك وجـدته على طرف الهـجران إن كان يـعقل	معن بن أوس	١٤٨
....		
لعـمـرك مـا أدرى وإنى لأوجل علـى أينا تـعـدو المنيـة أول	معن بن أوس	١٤٩
إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا أصـبت حليـما أو أصـابك جـاهل	أوس بن حجر	١٤٩
لبس الـوشى لا مـتـجـمـلات ولكـن كى يصـن به الجـمـالا	المتنبى	١٥٠
وقـوفا بـهـا صـحـبى على مطيـهم يقـولون لا تهـلك أسى وتجـمل	امرؤ القيس	١٤٩

الأبيات	القائل	الصفحة
أعدى الزمان سخاوة فسخا به		
ولقد يكون به الزمان بخيلا	المتنبى	١٥١
هيهات لا يأتى الزمان بمثله		
إن الزمان بمثله لبخيل	محمد بن حميد	١٥١
لو حار مرتاد المنية لم يجد		
إلا الفراق على النفوس دليلا	أبو تمام	١٥٢
لولا مفارقة الأحباب ما وجدت		
لها المنايا إلى أرواحنا سبلا	المتنبى	١٥٢
وإذا أدنيت منها بصلا		
غلب المسك على ريح البصل	بشار بن برد	١٥٤
لقد زادنى حبا لنفسى أننى		
بغيض إلى كل امرئ غير طائل	الطرماح	
والجراحات عنده نغمات		
سبقت قبل سيبه بسؤال	المتنبى	١٥٨
وقد ظللت عقبان أعلامه ضحى		
بعقبان طير فى الدماء نواهل		
أقامت مع الرايات حتى كأنها		
من الجيش إلا أنها لم تقاتل	أبو تمام	١٥٨
إن كنت أزمعت على هجرنا		
من غير ما جرم فصبر جميل	....	١٦٤
وإن تبدلت بنا غيرنا		
فحسبنا الله ونعم الوكيل		
كانت بلهنية الشبيبة سكرة		
فصحوت واستبدلت سيرة مجمل	ابن التلميذ الطبيب	١٦٨
....		

الأبيات	القائل	الصفحة
خلقت علـى باب الأمـيـر كـــأننى		
قـفانبـك من ذكرى حـبـيب ومنزل		
إذا جئت أشـكو طول ضيق وفـاقه	الصولى	١٦٩
يقـــولون لا تهـلك أسى وتجـــمل		
ففاضت دموع العين من سوء ردهم		
على النحر حتى بل دمـعى محملى		
لقـد طال تردادى وقـصـدى إليكم		
فـهل عند رســم دارس من مـعـول	المتنبى	
أعلى المـالك مـا بينى على الأسل		
والطعن عند مـحبـيـهن كـالقـبل	المتنبى	١٧٥
فى الخـد إن عـزم الخليط رحـيـلا		
مطر تـزيد به الخـــدود مـــحـــولا	المتنبى	١٧٦
أترى الجـــــيـــــرة الذين تداعـــــوا		
عند ســيـر الحـبــيـب وقت زوال	ابن المعتز	١٧٧
قفـا نبك من ذكرى حـبيب ومنزل		
بسقـط اللوى بين الدخول فـحومل	امرؤ القيس	١٨١
بقـيت بقـاء الدهـر يا كـهف أهله		
وهذا دعــــاء للـبــــرية شـــــامل	أبو العلاء	١٧٧
سئـمت تكاليف الحيـاة ومن يعش		
ثمــانين حــولا لا أبـالك يســأم	زهير بن أبى سلمى	١٦، ٤٤
إذا أيقـظتك حـــــروب العـــــدا		
فنبــــه لهــــا عـــمــــر ثم نم	بشار بن برد	١٨، ٢٧
يقيض لى من حـيث لا أعلم النوى		٣١
ويسرى إلى الشـوق من حيث أعلم		
أصح وأقوى ما ســمعناه فى الندى	البحترى	
من الخـــــبـــــر المـأثور منذ قــــديم		

الأبيات	القائل	الصفحة
ولئـن بقــيت لأرحلـن بغـــزوة تحـــوى الغنـائم أو يموت كـــريم	قتادة بن مسلمة	٧٩
....		
لنا الجـفنات يلمـعن بالضـحى وأسـيـافنا يقطرن من نجـدة دمـا	حسان بن ثابت	٨١
لا عيب فيـهم سوى أن النزيل بهم يسلو عن الأهـل والأوطان والحـشم	صفى الدين الحلى	٩٥
فإن من لا منى لا خـير فيـه سوى وصـــفى له بأخـس الناس كلـهم	....	٩٧
يا حـبـيب الإله جـد لـى بقـرب منك يا صـفـوة العـزيز الـرحـيم يا رســـولا أعــداؤه أرذل الـنا س جـمـيـعـا لكنهم فى الجـحـيم	....	٩٨
إلى كم ترد الـرسل عـمـا أتوا به كـأنهم فـيـمـا وهبت مـلام	المتنبى	٩٩
أيا ظبـيـة الوعـسـاء بين جـلاجل وبين الـنقـــا أأنت أم أم ســـالم	ذو الرمة	١٠٥
أصبحت يا بن زبيـدة ابنة جـعفـر أمـلا لعـقـدة حـبـاله اسـتـحكام	أبو نواس	١٠٨
ومن كان بالبـيض الكواعب مغـرما فمـا زلت بالبيض القواضب مغـرما	أبو تمام	١٢٨
يلفى إذا مـا كان الجـيش عـرمرمـا فى جـيش رأى لا يقل عـرمـوم	....	١٢٨
أكـــرم بـخلـق نبـى زانه خـلق بالحـسن مـشتـمل بالبـشـر متـسم كـالزهر فى ترف والبدر فى شـرف والبـحـر فى كـرم والدهر فى همم	البوصيرى	١٣٦

الأبيات	القائل	الصفحة
كـأنه وهو فـرد من جـلالتـه فى عسكـر حيث تلقاه وفـى حشم	البوصيرى	١٣٦
عـذلوا فـمـا ظلمـت لهم دول سـعـدوا فـمـا زالت لهـم نعم	....	١٤٢
بذلوا فـمـا شـحت لهم شـيم رفـعـوا فـمـا زالت لهم قـدم		
نعم لـهم زالت فـمـا سـعـدوا دول لهم ظـلمت فـمـا عـدلوا		
قـدم لهم زلت فـمـا رفـعـوا شـيم لهم شـحت فـمـا بذلوا	....	١٤٢
أحب المـرء ظاهره جـمـيـل لصـاحـبـه وباطـنه سلـيم		
مـودتـه تـدوم لـكل هـول وهـل كـل مـودتـه تـدوم	القاضى الأرجانى	١٤٢
ومـا الناس بالناس الذين عهـدتهم ولا الدار بـالدار الـتى كـنـت تعـلم	العباس بن عبدالمطلب	١٥٠
والصـبر يـحمـد فى المواطن كلهـا إلا علـيك فـإنه مـذمـوم	....	١٥٥
ومن الخـيـر بطء سـيـبك عنى أسـرع السحب فى المسـيـر الجهـام	المتنبى	١٥٤
من يهـن يسـهل الهـوان عليـه مـا لجـرح بميت إيـلام	المتنبى	١٧٤
ولـم أر فى عـيـوب الناس شـيـئـا كنقـص القـادرين على التـمـام	المتنبى	١٧٤
إذا سـاء فـعل المـرء سـاءت ظنونه وصـدق مـا يعـتـاده مـن توهم	المتنبى	١٧٥

الأبيات	القائل	الصفحة
قــصــر عليــه تحيــة وســلام خلعـت عليــه جـمــالهــا الأيام	أشجع السلمى	١٨٢
إن البــخـيل ملوم حـيث كــان ولكـن الكريم علـى عــلاتـه هرم	زهير بن أبى سلمى	١٨٥
فـبـقــيت للعلم الذى تـهـدى له وتقـــاعـــست عن يومـك الأيام	أبو نواس	١٨٨
إذا المرء لم يخـزن عليـه لســانه فليـس على شيء ســواه بخـــزان	امرؤ القيس	١٧، ١٣٠
ألا لا يجــــهلن أحـــد علينا فنجــهل فـوق جــهل الجاهـلينا	عمرو بن كلثوم	٤٦
طويت بـإحــراز الفنون ونـيلهــا رداء شـــبـــابى والجنون فـنون فـحين تـعـاطيت الفنون وحـظهـا تـبـين لـى أن الـفـــنون جـنـون	سعد الدين التفتازانى	٥٦
أقـول وقد شنـوا إلى الحرب غـارة دعـونـى فـإن آكل العـيش بالجبن	....	٦٠
أيهــا المنكح الـثـريـا سـهــيـلا عــمـرك الله كــيف يلتــقـيــان هى شـامــيـة إذا مـا اسـتـقلت وســهــيل إذا اســتــقــل يمانى	عمر بن أبى ربيعة	٦٣
حكى الـغـــزال طلعــة ولفــتــة من ذا رآه مــقــبـــلا ولا افــتتن وكم من قــارئ فــيــهـا وقــار أضــرا بالجــفــون وبالجـفــان	الحريرى	٦٦
لكل إنســان طبــيــعــتــان خـــيــر وشــر وهــمــا ضــدان	أبو العتاهية	٦٩
....		

الأبيات	القائل	الصفحة
من قاس جدواك بالغمام فما		
أنصف فى الحكم بين شكلين	....	٧٠
أنت إذا جدت ضاحك أبدا		
وهو إذا جاد دامع العين	....	٧٠
لمختلفى الحاجات جمّع ببابه		
فهذا له فن وهذا له فن		
فللخامل العليا وللمعدم الغنى		
وللمذنب العتبى وللخائف الأمن	ابن شرف القيروانى	٧٧
كفى بجسمى نحولا أننى رجل		
لولا مخاطبتى إياك لم ترن	المتنبى	٨٤
عقدت سنابكها عليها عثيرا		
لو تبتغى عنقا عليه لأمكنا	المتنبى	٨٤
إن العيون التى فى طرفها حور		
قتلننا ثم لم يحيين قتلانا	جرير	١١٤
ولا عيب فيكم غير أن ضيوفكم		
تعاب بنسيان الأحبة والوطن	....	٩٥
بارك الله الحسن		
ولبوران فى الختن		
يا إمام الهدى ظفر		
ت ولكن ببنت من؟	محمد بن حازم	١٠٢
لم نلق غيرك إنسانا نلوذ به		
فلا برحت لعين الدهر إنسانا	أبو العلاء المعرى	١١٤
كلكم قد أخذ الجا		
م ولا جام لنا		
ما الذى ضر مديرا الـ		
جام لو جاملنا	أبو الفتح البستى	١١٨

الأبيات	القائل	الصفحة
هبت له ريح إقبال فطار بها نحو السرور وألجأني إلى الحزن	ابن العميد	١٦٨
....		
أوحى إلى عشاقه طرفه (هيهات هيهات لما توعدون)	....	١٦٧
وردفه ينطق من خلفه (لمثل هذا فليعمل العاملون)	....	
إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها	البحترى	٩، ٥٣، ١٠
فراحوا فريق فى الإسار ومثله قتيل ومثل لاذ بالبحر هاربه	بشار بن برد	١٨، ١٩، ٧١
....		
يا أمة كان قبح الجور يسخطها دهرا فأصبح حسن العدل يرضيها	أبو تمام	٣٨
على رأس عبد تاج عزيزينه وفى رجل حر قيد ذل يشينه	عنترة	٤٠
خذها إنا أنشدت من طرب صدورها عرفت منها قوافيها	ابن نباتة الخطيب	٤٥
إذا ما بدت فازداد منها جمالها نظرت لها فازداد منى غرامها	....	٥٣
فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده	المتنبى	٥٦
رأى العقيق فأجرى ذاك ناظره متيم لج فى الأشواق خاطره	....	٦٥
فعل المدام ولونها ومذاقها فى مقلتيه ووجنتيه وريقه	ابن حبوس	٦٦

الأبيات	القائل	الصفحة
ولما التقينا والتقا موعد لنا تعجب رائى الدرمنا ولاقطه	البحترى	٧٤
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامتها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه		
فوجهك كالنار فى ضوئها وقلبى كالنار فى حرها	رشيد الدين الوطواط	٧٤
أعانق غصن البان من لين قدها وأجنى جنى الورد من وجناتها	....	٧٨
كلفتمونا حدود منطقكم فى الشعر يكفى عن صدقه كذبه	البحترى	٨١
ذبت من الشوق فلو زج بى فى مقلة النائم لم ينتبه	....	٨٤
....		
لكل امرئ نفسان نفس كريمة ونفس يعاصيها الفتى ويطيعها	الفرزدق	٦٩، ٨٦
....		
كيف لا يخضر شاربه ومياه الحسن تسقيه	ابن المعتز	٨٧
ومهفهف قال الإله لحسنه كن فتنة للعالمين فكانه	أبو هلال العسكرى	٨٩
زعم البنفسج أنه كعذاره حسنا فسلوا من قفاه لسانه		
أتتنى تؤنبنى بالبكا فأهلا بها وبتأنيبها		
تقول وفى قولها حشمة أتبكى بعين ترانى بها	....	٩٠

الأبيات	القائل	الصفحة
فقلت إذا استحسنت غيركم		
أمرت الدموع بتأديبها	....	٩٠
ليس فيه عيب سوى أنه		
لا تقع العين على مثله	ابن الرومى	٩٥
قد نفض العاشقون ما صنع آل		
هجر بألوانهم على ورقه	ابن المعتز	١٠٠
ولابد لى من جهلة فى وصاله		
فمن لى بخل أودع الحلم عنده	ابن نباتة	١٠٠
ما مات من كرم الزمان فإنه		
يحيا لدى يحيى بن عبد الله	أبو تمام	١١٥
عضنا الدهر بنابه		
ليت ما حل بنابه	....	١١٦
لا يوالى الدهر إلا		
خاملا ليس بنابه		
ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه		
بدمع يحاكى الوبل حال مصابه	الحريرى	١١٧
....		
أسرع وسر طالب المعالى		
بكل واد وكل مهمه	الشاب	
وإن لحا عاذل جهول		١١٥
فقل له يا عذول مه مه	الظريف	
لا تعرضن على الرواة قصيدة		
ما لم تبالغ قبل فى تهذيبها		
فمتى عرضت الشعر غير مهذب		١١٨
عدوه منك وساوا تهذى بها		
وإن لم يكن إلا معرج ساعة		
قليلا فإنى نافع لى قليها	ذو الرمة	١٢٨

الأبيات	القائل	الصفحة
تراه إذا مـــا جـئـتــــه مـتــهللا كـــأنك تعطيـــه الذى أنت ســـائله	....	١٤٧
تصـــد حـــيـــاء أن تراك بأوجـــه أتى الذنب غـــاصيـهـا فليم مطيـعـهـا	البحترى	١٥٢
أأحـــبـــه وأحب فـــيــــه مـلامـــة إن الملامــــة فـــيـــه من أعـــدائه	المتنبى	١٥٧
قـــــال لى إن رقـــــيـــــبى ســــــيئ الخـلق فـــــــداره قـلت دعـنى وجـــــهـك الجنـ ـــة حــــــفـــت بـالمـكـاره	ابن عباس	١٦٥
أقـول لـمـعـشـــر غلطوا وغـــضـوا من الـشـــــيخ الـكريم وأنـكروه	....	١٧١
أنلنى بـالذى اســتـــقــرضت خطأ وأشــهـد مـعـــشـرا قـد شـاهدوه فـــإن الله خـــلاق الـبـــــرايا عنت لجـــلال هيــبتـــه الوجـــوه يـقــــــول إذا تـداينـتـم بديـن إلى أجل مــــسـمـى فـاكـــتـبـــوه	....	١٧٢
يا صاحب البغى إن البغى مصرعة فـاربع فـخـير فـعـال المرء أعـدله		١٧٣
غرست غروسا كنت أرجـو لقاحها وآمل يومـــا أن تطيـب جناتهـــا	....	١٧٥
خلقـــوا ومـــا خلـقـــوا لمكرمـــة فكأنــهم خلقـــوا ومـــا خلـقـــوا		٣١

الأبيات	القائل	الصفحة
رزقوا سماح يد فكأنهم رزقوا وما رزقوا		٣٠
إن يسمعوا الخير يخفوه وإن سمعوا شرا أذاعوا وإن لم يسمعوا كذبوا	. . . .	٧٢
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا	حسان بن ثابت	٧٥
. . . .		
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأحسابهم أو مجدهم قعدوا	زهير بن أبى سلمى	٨٤
ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة أن يبكوا	أبو العلاء المعرى	١٤٤
. . . .		
لهفى على فتية ذل الزمان لهم فما يصيبهم إلا بما شاءوا	. . . .	١٤٩
دارت على فتية ذل الزمان لهم فما يصيبهم إلا بما شاءوا	أبو نواس	١٤٩
سلبوا وأشرقت الدماء عليهم محمرة فكأنهم لم يسلبوا	البحترى	١٥٧
لا تعاشر معشرا ضلوا الهدى فسواء أقبلوا أو أدبروا	. . . .	١٦٥
. . . .		
على أنى سأنشد عن بيعى أضاعونى وأى فتى أضاعوا	الحريرى	١٦٩
أطل على الأكوان والخلق ينظروا هلال رآه المسلمون فكبروا	حافظ إبراهيم	١٨٣
والدهر يكبو بالفتى وتارة ينهضه من عثرة إذا كبا	ابن دريد	٣١

الأبيات	القائل	الصفحة
تالله ما ذكر العقيق وأهله إلا وأجراه الغرام بمحجرى	ابن معتوق	٦٤
أراعى النجم فى سيرى إليكم ويرعاه من البيدا جوادى	....	٦٤
كأنى هلال الشك لولا تأوهى خفيت فلم تهد العيون لرؤيتى	ابن الفارض	٨٤
يخيل لى أن سمر الشهب فى الدجى وشدت بأهدابى إليهن أجفانى	القاضى الأرجانى	٨٥
لا تنكرى عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالى	أبو تمام	٨٨
وإنى لأستغشى وما بى نعسة لعل خيالا منك يلقى خياليا	....	٩٠
عداى لهم فضل على ومنه فلا أذهب الرحمن عنى الأعاديا هم بحثوا عن زلتى فاجتنبتها وهم نافسونى فاكتسبت المعاليا	....	٩٢
ألمع برق سرى أم ضوء مصباح ام ابتسامتها بالمنظر الضاحى	البحترى	١٠٤
قلت ثقلت إذا أتيت مرارا قال ثقلت كاهلى بالأيادى	....	١٠٦
إن قل مالى فلا خل يصاحبنى إن زاد مالى فكل الناس خلانى	....	١١٩
هل لما فات من تلاق تلافى أم لشاك من الصبابة شافى	البحترى	١٢٥
دعانى من ملامكما سفاها فداعى الشوق قبلكما دعانى	القاضى الأرجانى	١٢٩

الأبيات	القائل	الصفحة
فـمـشـغـوف بـآيات المثـانى ومـفـتـون برنـات المثـانى	الحريرى	١٢٩
بأطراف المـثـقـفـة الـعـوالى تفـردنا بأوسـاط المـعـالى	أبو فراس	١٣٧
دع المكارم لا ترحل لـبـغـيتـهـا واقـعـد فـإنك الطاعـم الكاسى	الحطيئة	١٤٩
. . . .		
.		
لم يبـكنى إلا حـديث فـراقكم لما أسـر إلـى مـودعـى هو ذلـك الدر الـذى أودعـتم فى مـسـمـعى ألقـيتـه من مدمـعى	القاضى الأرجانى	١٥٢
وإنى عنـك بعـد غـد لغـادى وقلبى عـن فنائك غـيـر غـادى لئـن أخطـأت فى مـدحـيـ ك مـا أخـطأت فـى منعـى	المتنبى	
لقـد أنزلـت حـاجـاتى بـواد غـيـر ذى زرعـى	ابن الرومى	١٦٦
قـد قلت لما أطلـعت وجنـاته حـول الشقـيق الغض روضـة آسى	ابن خلكان	١٦٩
. . . .		

المصادروالمراجع

- أسرار البلاغة ـ للشيخ عبد القاهر الجرجانى ت محمد رشيد رضا مكتبة القاهرة ١٣٧٩هـ.
- أساس البلاغة ـ الزمخشرى ـ ط الشعب.
- الأطول ـ للعصام ـ ط الآستانة ١٢٨٤هـ
- الإيضاح ـ الخطيب القزوينى ـ مكتبة محمد صبيح ١٩٨٢م.
- الإيضاح ـ الخطيب القزوينى مع البغية ـ المطبعة النموذجية.
- بديع القرآن ـ ابن أبى الإصبع ـ ت دكتور حفنى شرف ـ ط ثانية- نهضة مصر.
- البديع ـ ابن المعتز ت (كراتشقوفسكى)- دار الحكمة- دمشق.
- بغية الإيضاح- عبد المتعال الصعيدى- مع الإيضاح ـ المطبعة النموذجية.
- البلاغة التطبيقية ـ دكتور أحمد موسى ـ مطبعة المعرفة ١٩٦٣م.
- البلاغة الواضحة على الجارم ـ وآخر.
- البيان والتبيين ـ الجاحظ.
- تحرير التحبير ـ ابن أبى الإصبع ت حفنى شرف ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- تفسير الفخر الرازى ـ ط دار الفكر ـ بيروت.
- تلخيص المفتاح ـ الخطيب القزوينى ـ شرح البرقوقى بيروت ـ لبنان.
- جواهر الأدب ـ الهاشمى ط الثانية عشرة ـ مطبعة السعادة ١٩٢٠م.
- حاشية الدسوقى على مختصر السعد ـ شروح التلخيص.

- دلائل الإعجاز ـ الشيخ عبد القاهر الجرجانى ـ ت رشيد رضا مكتبة القاهرة ١٩٦١م.
- دلائل الإعجاز ـ تعليق الشيخ محمود شاكر ـ مكتبة الخانجى ـ القاهرة.
- ديوان هاشم الرفاعى.
- روضة الفصاحة ـ الثعالبى ت محمد إبراهيم سليم ـ مكتبة القرآن.
- زهو الآداب، وثمر الألباب- الحصرى القيزوانى/ شرح وضبط دكتور زكى مبارك ـ دار الجيل ـ بيرت ط رابعة.
- شرح عقود الجمان ـ السيوطى ـ مطبعة دار إحياء الكتب.
- الصبغ البديعى د. أحمد موسى ـ دار الكتاب العربى ١٩٦٩م.
- صحيح مسلم ـ شرح النووى ـ ط الشعب.
- كتاب الصناعتين ـ أبو هلال العسكرى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
- الطراز ـ العلوى ـ دار الكتب ـ بيروت.
- عروس الأفراح ـ بهاء الدين السبكى ـ شروح التلخيص.
- العمدة ـ ابن رشيق ت محمد محيى الدين عبد الحميد ـ دار الجيل ـ بيروت.
- الكشاف ـ الزمخشرى ـ دار المعرفة ـ لبنان.
- لسان العرب ـ لابن منظور.
- مختصر السعد ـ شروح التلخيص.
- المصباح ـ بدر الدين بن مالك ت د. حسنى عبد الحميد يوسف ـ المطبعة النموذجية.
- المطول - سعد الدين التفتازانى ـ مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠هـ.
- المعجم الوجيز.

- معاهـد التنصيـص ـ العـباسـى ت محمد محيـى الـديـن عـبد الحميـد دار الكتب ـ بيروت.
- مقامات الحريرى.
- المفتاح ـ السكاكى ـ ط مصطفى البابى الحلبى ١٩٣٧م.
- المنتخب من أدب العرب ـ على الجارم وآخرون ـ دار الكتاب العربى ١٩٥٣م.
- مواهب الفتاح ـ ابن يعقوب المغربى ـ شروح التلخيص.
- نقد الشعر ـ قدامة بن جعفر.

***

فهرس الموضوعات

الفصل الأول : المحسنات المعنوية

(٢٣ - ١١٠)

الفصل الثانى: المحسنات اللفظية

(١١١ - ١٤٤)

الفصل الثالث: السرقات الشعرية

(١٤٥ - ١٥٩)

الفصل الرابع: ما يتصل بالسرقات

(١٦١ - ١١٧)

الفصل الخامس: مواضع التأنق فى الكلام

(١٧٩ - ١٩٠)